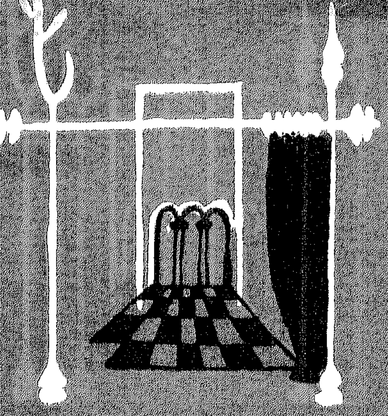
روائع المسرح العالمى

٦٩



المسامر

تأليف : جون اوسبورن

ترجمة وتقديم : محمد توفيق مصطفى

مراجعة : يحيى حقى

الدار المصرية للتأليف والترجمة

روائع المسرح العالمى
٦٩

المسامر

تأليف : جون اوسبورن
ترجمة وتقديم : محمد توفيق مصطفى
مراجعة : يحيى حقى

THE ENTERTAINER
By
JOHN OSBORNE

اهداءات ٢٠٠١
ا.صلاح راتب
القاهرة

الدار المصرية للتأليف والترجمة

مقدمة

ولد جون أوسبورن فى لندن فى الثـانى عشر من ديسمبر سنة ١٩٢٩ لأبوين من الطبقة العـاملة هما توماس جودفرى آوسبورن ومارى بور ، وتزوج من نيللى بياتريس .

وتلقى أوسبورن قسطه من التعليم العام فى مدارس الشعب دون أن تتيح له ظروفه الخاصة ما قد يتاح لأمثاله اليوم من فرص التعليم العالى فى الجامعات .

وحاول فى مستهل حياته العامة أن يشتغل بالصحافة ولكنه لم يلبث أن تحول عنها الى المسرح حيث بدأ العمل ممثلا متواضعا فى احدى فرق الأقاليم ، وكان ظهوره على المسرح أول مرة فى شهر مارس سـنة ١٩٤٨ حيث قام بدور مستر براسلز فى مسرحيـة « لا توجد غرفة خالية فى الفندق » على مسرح الامباير فى مدينة شـيفيلد .

وفى شهر مايو سنة ١٩٥٦ ظهر أوسبورن للمرة الأولى أمام جمهور لندن على مسرح الرويال كورت (البلاط الملكى) ليلعب دور أنطونيو فى مسرحيـة « دون جوان » ، ثم دور ليونيل فى مسرحية « موت الشيطان » مع فرقة المسرح الانجليزى .

غير أنه فى اليوم الثامن من ذلك الشهر على وجه التحديد قدمت هذه الفرقة مسرحية « أنظر الى الوراء غاضبا » لجون أوسبورن ، فكان ذلك الحدث مولد ثورة عارمة اجتاحت المسرح البريطانى فى جميع الاتجاهات .

* * *

ومثل سائر الثورات لم تكن ثورة المسرح البريطانى نتيجة مصادفة مفاجئة أو حادث عارض ، فقد سبقتها نذروارهاصات فى المحيط الخاص للمسرح وفى المحيط العام للفكر على السواء .

ففى محيط المسرح الخاص كانت سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى منتصف الخمسينات سنوات جدباء اضطر المسرح الانجليزى خلالها الى استيراد معظم بضاعته من انتاج الكتاب الأوروبيين بل والأمريكيين ، والاعتماد فى أغلب ماقدمه بعد ذلك على احياء تراثه القديم .

ومن هنا نشأت فى أذهان بعض قادة الحركة المسرحية فكرة انشاء فرقة جديدة تعتمد على مجموعة من الكتاب الشبان الذين لم يتجاوز سن الأربعين ، ممن تستهويهم الكتابة للمسرح لو أزيلت من طريقهم معوقات المديرين التجاريين والممولين الذين لا يفكرون الا فى الأسماء اللامعة حرصا على ايرادات الشباك .

وبعد مفاوضات طويلة حول مشروعات مختلفة تحطمت على

صخرة التمويل ، استطاع جورج ديفين فى أوائل سنة ١٩٥٦ أن يشكل فرقة المسرح الانجليزى ، وأن يستأجر لها دار مسرح الرويال كورت بعقد طويل الأمد ، مدته أربعة وثلاثون عاما .

وهكذا ولدت فرقة كتاب الطليعة .

أما فى المحيط الفكرى البريطانى العام فقد كانت سنة ١٩٥٦ سنة تدخل الحكومة فى ثورة المجر ثم فى حملة السويس ، هذا التدخل الذى لم تجن منه بريطانيا غير العار والمذلة وسقوط الهيبة فى كافة المحافل الدولية ، ولم يعقب فى نفوس الشعب البريطانى غير السخط والمرارة والغليان ، وبخاصة فى محيط الشباب فى الجامعات وأوساط المثقفين بعامة . فاختفت لغة المداورة والتحفظ . واستبدت بالكتاب والمفكرين نزعات السخط والغضب ، وشرعت الألسنة والأقلام تجرى فى الكيان البريطانى كله أكبر عملية تشريحية تعرض لها فى العصر الحديث ، تناولت من الناحية السياسية جسد الامبراطورية المتهالك المنهار ، ونفذت من الناحية الاجتماعية الى بؤر الانحلال واليأس والبؤس الذى أصاب سواد شعب الانجليز نتيجة سقوط الامبريالية وارتداد ادعياء « احكمى يابريطانيا » ــ مهزومين مثخنين بالجراح ــ الى صخرتهم الناتئة فى ملح البحار فيما بين المانش والأطلسى ؛ ونشيدهم الجديد ــ كما كتبه أوسبورن :

« أيتها الصخرة التى نحتت لى منذ القدم

دعينى أخبىء نفسى فيك »

فى هذا الجـو العـاصف كتب أوسبورن ــ وقدم المسرح الانجليزى ــ مسرحية « انظر الى الوراء غاضبا » ، وهى صيحة السخط والغضب على المجتمع البريطانى ومن أجله ، ثم مسرحية « المسامر » التى بين يدى القارىء ، وهى صيحة السخط والغضب على الامبراطورية البريطانية المنهارة ومن أجلها .

ويعتبر أوسـبورن بهاتين المسرحيتين رائد الكتاب الساخطين من شباب مسرح الطليعة ، وأول كاتب درامى اسـتطاع بجرأته وفكره أن يقحم المسرحيـة الحديثـة على المسرح الانجليزى بما يشبه الصدمة المزلزلة . بل ان السينما بدورها تلقفت المسرحيتين وأخرجت كلا منهما فى فيلم اضطلع بالبطولة فيه نجوم عالميون .

ولقد كان عرض مسرحية « انظر الى الوراء غاضبا » نقطـة تحول فى تيار التأليف فى انجلترا بصفة عامة ، فقد كان أوسبورن فى السادسة والعشرين من عمره ، وحظيت مسرحيته بنجاح ساحق لدى الناقدين ولدى النظارة جميعا ، فكان هذا حافزا لطائفة كبرى من الشباب على الكتابة للمسرح بعد أن كان اتجاههم الغالب الى القصة وغيرها من قوالب التعبير ، وصاحب هـذا التحول ظاهرة غريبة هى أن هؤلاء الكتاب الشبان وجدوا الفرق التى تخـرج لهم انتاجهم ، ثم وجدوا الجمهور الذى يقبل على مشاهدته .

ولعـل الظاهرة الأغـرب فى تاريخ المسرح البريطانى هى أن

هؤلاء الكتاب الوافدين الجدد معظمهم من أبناء الطبقة العاملة . فقد ظل مسرح الحى الغربى فى لندن (الحى الأرقى فى المدينة) سنوات وسنوات وقفا على الطبقة الوسطى ، كتاب من الطبقة الوسطى ــ ممن أكملوا تعليمهم الجامعى على الأغلب ــ يكتبون لجمهور من الطبقة الوسطى . أما بعد أوسبورن فقد انهار هذا الحاجز ، وظهر الى جانبه من كبار كتاب المسرح آلان أووين وكليف اكستون وهارولد بنتر وغيرهم ممن شقوا طريقهم من صفوف العامة دون تعليم جامعى ، بعد سنوات من العمل كممثلين عاديين .

ولئن كان هذا هو الأثر المباشر لأوسبورن فى محيط المسرح الانجليزى ، فقد كان له فيه أثر آخر غير مباشر لا يقل عنه استحقاقا للتسجيل : فقد بدأت فرقة المسرح الانجليزى نشاطها بتقديم مسرحيتين لآنجوس ويلسون وآرثر ميلر ، وكانت المسرحية الثالثة هى مسرحية أوسبورن « انظر الى الوراء غاضبا » ، ولم يحل أول الخريف حتى كانت خسائر الفرقة قد بلغت نحو ١٣,٠٠٠ جنيه استرلينى ، ومن ثم عرضت مسرحية أوسبورن ثمانية أسابيع متوالية فكان ايرادها لا يزيد على النفقات الا بقليل. وفى بدء الأسبوع التاسع عرضت المسرحية على شاشة التليفزيون فقفزت ايرادات المسرح من ٩٥٠ جنيها فى الأسبوع الى نحو ١٣٠٠ جنيه فى الأسبوع التالى ثم الى ١٧٠٠ فى الأسبوع الذى بعده . وبالاختصار فقد حصلت الفرقة من هذه المسرحية ومن

مسرحية أوسبورن الثانية « المسامر » فى خلال السنوات الخمس الأولى من حياتها على أرباح صافية قدرها ٥٠٠,٠٠٠جنيه استرلينى. (تدخل ضمنها ايرادات السينما والتليفزيون وحقوق الأداء الخ) .

وهذه الأرباح التى يرجع الفضل فيها لمسرحيتى أوسبورن هى التى مكنت الفرقة من تقديم المسرحيات الأخرى ذات القيمة الفنية التى قد لا يتاح لها مثل ذلك الحظ من النجاح التجارى .

* * *

وقد كتب أوسبورن قبل هاتين المسرحيتين اللتين عرضتا فى العاصمة عددا من المسرحيات التى لم تكن نشرت أو عرضت هناك حتى ذلك الحين ، مثل مسرحية « جساة تذكارية على قبر جورج ديلون » التى كتبها بالاشتراك مع أنتونى كريتون ، ومسرحية « عالم بول سليكى الخاص » . كما كان له مسرحيتان عرضتا خارج لندن ، الأولى مسرحية « الشيطان المستقر فى جسده » التى كتبها بالاشتراك مع ستلا ليندن ومثلت فى هادرسفيلد سنة ١٩٥٠ ثم أعيد تمثيلها على مسرح الپمبروك فى كرويدون سنة ١٩٦٢ باسم « دعوة الى الحب من روبرت أووين » وهى تدور حول شاب من احدى قرى ويلز يظن به مواطنوه الغفلة ، بينما يرميه أفراد أسرته بجنون الجنس ، ولكن طالب طب وافد على القرية يكتشف فيه مواهب أصيلة . غير أن الشاب لا يلبث أن يرتكب جريمة قتل فتاة من بنات القرية حين حاولت أن تنسب اليه طفلا حملت به فى سفاح .

والثانية وهى مسرحيـــة « العـــدو الشخصى » التى كتبهـــا بالاشتراك مع أنتونى كريتون ومثلت فى هاروجيت سنة ١٩٥٥ ، تعرض موقف أحد الجنود ممن وقعوا فى الأسر فى حرب كوريا ثم أفرج عنه ، حين رفض العودة الى الوطن ، وما أثاره موقفـــه هذا بين أهله وأصدقائه من انفعالات وتعليقات . ومما هو جدير بالذكر ان الرقابة تناولت بالحذف أجزاء كبيرة من هذه المسرحية عند عرضها ، منها فصـــل كامل عن الشذوذ الجنسى فى محيط المحاربين .

* * *

غير أن مسرحية « انظر الى الوراء غاضـــبا » هى التى رفعت أوسبورن الى مصاف الشهرة وجعلته بحق رائد المسرحية الحديثة، وأثارت من الضجة ما اعتبرت به ـــ كما قدمنا ـــ ثورة فى تاريخ المسرح الانجليزى . ولذا فان من حق القارىء علينا أن نقف به قليلا عند هذه المسرحية متسائلين عما فيها من خصائص أضفت عليها هذه الصفات

فأما من حيث الشكل فليس فى المسرحية جديد يدعو الى كل هذه الضجة ، نعم انهـــا متينة البناء ، متناســـقة مواقف الصعود والهبوط ، محكمة التوقيت ، الا أنهـــا لا تخرج فى جملتهـــا عن النمط التقليدى للمسرح الواقعى .

واذن فالمضـــمون ـــ لا الشـــكل ـــ هو الذى أكسب هـــذه المسرحية وصفها الحديث وخرج بها عن نطاق المسرح التقليدى ،

ونريد بالمضمون هنا الشخصيات التى عرضتها واللغة التى ترجمت بها هذه الشخصيات عن أنفسها . فبطل المسرحية « چيمى پورتر » انما يمثل جيلا كاملا ، هو جيل ما بعد الحرب الذى اصطلى بويلاتها وعاش عقابيلها ، ثم تطلع الى الخلاص والفرج على يد حكومة العمال التى جاء بها فى سنة ١٩٤٥ ، ولكنه منى بخيبة الأمل حين فشلت تلك الحكومة فى تحقيق شىء من أمانيه ، وغدا بعد ذلك جيلا ساخطا متمردا يستهويه التحلل من أى قيد ومن كل قيد .

وچيمى من ذلك الطراز الميال الى الحاق الأذى بالنفس ، يبدو مستوحشا منعزلا عن العالم فى منفاه الذى اختاره لنفسه ، يستمد القوة من مواطن ضعفه ، ويستقى البهجة من معين بؤسه وحرمانه . ونحن نعلم من سياق المسرحية أنه حاصل على درجة جامعية ، وانه شديد الغرور بعلمه وثقافته ، لا يقرأ الا كتب التراث العميقة ولا يستمع الا لموسيقى الجاز الأصيلة ، ولا يطالع الا صحف الأحد الأنيقة ، غير أنه يعيش فى مسكن حقير فوق سطح أحد منازل حى كئيب ، ويكسب عيشه من بيع الحلوى فى (كشك) صغير فى سوق المدينة . كل شىء فى حياته باعث على السخط والشكوى ، فهما الطابع اللازم فى كل ما يصدر عنه من حديث .

على أن الضحية الأولى لكل هذا انما هى زوجته أليسون التى يكن لها حقدا دفينا بسبب انتسائها الى أسرة من سراة الطبقة

الوسطى ، فهو يداوم على تعذيبها وايلامها ليخضعها ويذلها عند قدميه . غير أنها ، وقد علمت أن خير وسيلة للدفاع عن نفسها هى اصطناع الهدوء وعدم الاكتراث ، تأبى ما استطاعت أن تستجيب لنزعته .

ويمضى الزوجان فى هذه الحرب على مرأى من كليف الذى يشاركهما مسكنهما العجيب ، ويشهد بعين العطف مبلغ افتيات جيمى على زوجته ؛ ولكنه لا يستطيع أن يحدث أثرا فى عيشتهما المعقدة .

ثم تظهر شخصية رابعة هى هيلينا ، وهى ممثلة من صديقات أليسون ، قوية الشخصية شديدة التعالى ، تهبط ضيفة على البيت ، فيشتد تأزم الأمور لمجرد حضورها ، وتزداد ثورات جيمى على اليسون عنفا ، فتشير عليها هيلينا أن تغادر البيت وتلجأ الى منزل أسرتها ، فتخرج هذه وهى تحمل فى أحشائها جنينا لم تجد الفرصة لاخبار زوجها بحلوله . ولكن هيلينا لا تلبث — فى نهاية الفصل الثانى — أن تقع بين ذراعى جيمى .

ويرتفع الستار فى الفصل الثالث عن جيمى وقد استقر على معاشرة هيلينا واستراحت نفسه اليها ، ما دام لا يلتزم أمامها بشىء ، ولا تربطه بها الا شهوة البدن . وعندما يعلن كليف لجيمى رغبته فى ترك البيت والبحث عن مسكن آخر يجيبه هذا بقوله :

« انه لأمر عجيب . لقد كنت على الدوام مخلصا كريما وصديقا

وفيا ، ولكنى على أتم الاستعداد لأن أراك تمضى باحثا عن مسكن جديد تستقل فيه بنفسك ، كل هذا من أجل شيء أريده من هذه الفتاة ، شيء أعلم من صميم قلبى انها لا تستطيع اعطاءه . اناث تساوى عشرين هيلينا فى نظرى أو نظر أى انسان ، ولو كنت مكانى لفعلت نفس الشيء ..... لماذا ، لماذا تترك هؤلاء النساء يستنزفن دماءنا حتى الموت ؟ أما تلقيت قط خطابا مختوما عليه عبارة « كن كريما وتبرع بدمك » ؟ ان مدير عام هيئة البريد انما يفعل هذا لحساب كل نساء العالم . فى اعتقادى ان أبناء جيلنا لم يعودوا قادرين على أن يموتوا فى سبيل قضايا سامية ، فقد فعل غيرنا هذا نيابة عنا جميعا فى الثلاثينيات والأربعينيات حين كنا ما نزال صبية ، ولم تبق أى قضية تتسم بالسمو أو الشجاعة . ولو أن الواقعة الكبرى وقعت فقضى علينا جميعا فلن يكون ذلك فى سبيل الهدف الرفيع الأسبق ، وانما يكون فى سبيل الجرىء الجديد من لا شيء شكرا لك ، مما لا هدف وراءه ولا مجد فيه كالقاء الانسان بنفسه تحت عجلات الأوتوبيس . لا لم يبق لنا شيء يا ولدى سوى أن نسلم أنفسنا للنساء ليذبحننا » .

وتعود أليسون الى البيت وقد فقدت طفلها . وحين تحاول هيلينا أن تخرج نفسها من الورطة المؤلمة التى تردت فيها يقول لها جيمى :

« لا خـير فى أن تحاولى مخادعة نفسك فى شأن الحب فانك لا تستطيعين أن تقعى فيه كأمر هين دون أن تلطخى يديك ، انه يستغرق العضـلات والأحشـاء . واذا كنت لا تحتملين فكرة تلويث روحك الطاهرة فخير لك أن تتخلى عن فكرة الحياة كلها وتتحولى الى قديسة لأنك لن تستطيعى أن تعيشيها كما يعيشها الآدميون . فاما هذه الدنيا واما الآخرة » .

ثم يتجه الى أليسون ويقول لها :

« أكنت حقا على خطأ حين اعتقدت أن هناك نوعا من رجولة العقل والروح المتوقدة التى تبحث عن شىء يضارعها فى القوة . ان أثقل المخلوقات وأقواها فى هذا العالم تلوح أشدها وحدة ، كمثل الدب العجوز الذى يستهدى بأنفاسه ذاتها فى ظلام الغابة ، حيث لا أسرة تدفئه ولا قطيع يؤنسه . والصـوت الذى يبكى ليس لزاما أن يكون صادرا عن ضعيف » .

وحينذاك تفصح أليسون عن نفسها لأول مرة :

« لقد كنت مخطئة ... أنا لا أريد أن أكون محايدة ، ولا أريد أن أكون قديسـة . أريد أن أكون قضـية خاسرة ، أريد أن أكون موصومة تافهة . ألا تفهمنى ؟ لقـد ذهب . لقـد ذهب . هذا الكائن الآدمى الذى لا حـول له فى أحشائى . كنت أظنه آمنا مطمئنا هناك . ما كان شىء يستطيع انتزاعه منى . كان ملكا

لى ووديعة بين يدى ولكنه ضـــاع . كان قصارى ما أرجوه أن أموت . ما عرفت حقيقة هذا الأمر من قبل أبدا ، وما كنت أعرف أنه يمكن أن يكون كذلك ، كل مااستطعت أن أفكر فيه وأنا فى غمرة الألم هــو أنت وذلك الذى فقــدته . قلت لنفسى آه لو استطاع أن يرانى الآن وأنا أشد ما أكون غباء وكآبة واستثارة للسخرية ، فهذا ما كان يتمنى لى أن استشعره . هذا ما يريد أن يعوم فيه ويسبح . انى لفى النار ، وانى أحترق ، وكل مايريده: أن أموت . لقد كلفه ذلك حياة طفله وأى أطفال غيره ممَّن عساى كنت والدتهم . ولكن ما أهمية ذلك ــ هذا ما كان يريده منى . ألا ترى ؟ لقد أصبحت فى الوحل منكبة على وجهى أتمرغ فيه . أوه ، يا الهى ... »

وعندما يشعر چيمى آخر الأمر بما صنعت يداه ينهار ويمد يديه فيرفع زوجته المتهالكة عند قدميه ويضمها الى صدره متوسـلا اليها أن تكف عن البكاء ، مبشرا لهـا بحياة زوجية مقبلة لهـا حلاوة الشهد .

وقد أودع أوسبورن حوار المسرحية صيحات سـخطه ونقده المرير لكل ما حوله من وجوه الحياة البريطانية وأحداثها . وهذه الصيحات هى بحق صميم الجرىء الجديد فى مسرحيته .

فقد أصبحت انجلترا فى نظره ــ وانه لمنصف صـادق يتكلم بلسان الناس جميعا فى أركان العالم الأربعة ــ أصبحت انجلترا

بسياستها الخرقاء وطنا ضائعا مهلهلا يحـار المواطن الانجليزى كيف يخلص له الولاء : « اعتقد أن الناس من أمثالى لا يفترض أن يكونوا على قدر كبير من الوطنية ... فنحن نستورد طبيخنا من باريس ، وسياستنا من موسكو ،وأخلاقنا من بورسعيد »

وأصبح من المسلم به عنده أن انجلترا قـد غدت مستعمرة أمريكية من حيث المكان والزمان جميعا : « ان من أكبر دواعى الضيق أن تعيش فى العصر الأمريكى ، ما لم تكن أمريكيا طبعا ». لا بل أن الاستعمار الأمريكى يقتحـم على الانجليز مخادعهـم ويفتك بأعراضهم : « لعل كل أطفالنا سيكونون أمريكيين » .

وحتى رجال الدين عنده قـد أصـيبوا باللوثة التى أصابت السياسيين ، فهاهو أحـد كبار الأحبار « يوجـه نداء قويا يهز المشاعر الى سائر المسيحيين ليبـذلوا كل ما يستطيعون للمعاونة فى صنع القنبلة الذرية » .

وهو يسخر من أبناء الجيـل المـاضى الذين يعيشون فى عالم اليوم بعقلية جامدة لم تحررها صدمات الواقع . فهـذا الكاتب « مثـله كمثـل أبى ، ما زال يتطلـع الى الوراء يرقب العصر الادواردى بنظرات حالمة » . وهـذا الضابط السابق فى الكتيبة الادواردية السابقة ــ أبو أليسون ــ يعود من الهند بعد سنوات طوال من الدعة والفخفخة ، بعد أيام الصيف المشمسة ودواوين الشعر ووسائد الحرير وكل صور الحياة الرومانسية التىضاعت

بلا رجعة . ان أوسبورن نادم على كل هذا نيابة عنه ، « واذا لم يكن لك دنياك الخاصة ، فان من دواعى السعادة أن تندم على دنيا شخص آخر ولت وانقضت » . وهــو يصفه بأنه « عجوز مسكين .... ليس الا واحدا من تلك النباتات المتعطشة المتخلفة من متاهات العهد الادواردى ، والتى تأبى أن تفهم لمــاذا توقفت الشمس عن الطلوع » .

لا بل ان « أمثال هؤلاء موجودون فى الحقيقة فى كل مكان يزحمونه بحيث لا تستطيع أن تتحرك بينهم . انهــم فئــة حالمة يقضــون معظم وقتهم متطلعين الى المــاضى عسى أن يعــود ، والمكان الوحيد الذين يستطيعون أن يروا فيه النور هو العصور المظلمة » . لقد اعتكف كل منهم « منــذ زمان طويل فى كوخ نفسى جميل منقطع الصلة تماما بمشاكل القرن العشرين الكالحة».

وكذلك يسخر أوسبورن من طبقة السياسيين الذين يتوارثون التفاهة وخواء الرؤوس خلفا عن سلف . « انك لم تسمع أبدا بمثل هذا العدد الهائل من التافهين الذين أحسنت تربيتهم يخرج من تحت قبعة واحدة » . ان هذا الشاب العادى الفارغ الرأس « سينتهى به الأمر الى تقلد الوزارة يوما ما . هذا مما لا شك فيه ... ان معلوماته عن الحياة وعن أفراد البشر العاديين سطحية الى حد أنه يستأهل ان يمنح نوعا من الوسام مكتوبا عليه « من أجل السطحية فى الميدان » ... والى هذا فهو وطنى وانجليزى ،

وهو يرفض الرأى القائل بأنه وأمثـــاله كانوا يتاجرون بأرواح مواطنيهم كل هذه السنين » .

* * *

ولقد كان من رأى بعض النقاد أن « انظر الى الوراء غاضبا » مسرحية مرتبكة مشوشة ، سواء فيما يريد المؤلف أن يقوله فيها ، أو فى الطريقة التى يقولها بهـــا . ولـــكن البعض الآخر رأوا أن لا أهمية لمثل هذا الاعتراض ، فالمسرحية تدور حول الأشخاص ، وليست تدور حول الأفكار بالضرورة . وليس المهم أن أوسبورن مثل لنا چيمى كمجموعة من المتناقضات ـــ كما هو حال معظمنا ـــ بل المهم أنه استطاع أن يجمع كل هـــذه المتناقضات فى تشخيص درامى مقبول لانسان معقد جعل منه نقطة التقاء لأفكار كثير من الناس من أبناء جيل ما بعد الحرب ، ممن أحسوا بأن عالم اليوم يرفض أن يساير أهواءهم .

على أن الذى أخذ على أوسبورن بحق أنه يولى أبطاله من الرعاية ما يجعله يهبط بكافة الشخصيات الأخرى التى حولهم . فهو لا يضع أمام البطل غريما قوى الشخصية فتخرج التأثيرات الدرامية من الاحتكاك والتصارع بينهمـــا . بل انه يعتمـــد فى الاثارة ، أغلب ما يعتمد ، على الحوار المتدفق الذى يشد سمع المتفرجين .

غير أنه فى مسرحية « جملة تذكارية على قبر چورج ديلون » وضع بازاء البطل الشاب الغاضب شـــخصية أخرى لا تقل عنه

قوة ، بل انهـا تلقى ظلال الشك على قوته واعتباره فى نهـاية المسرحيـة . ولعل هـذا هو أثر اشـتراك أنتونى كريتون مع أوسبورن فى كتابة هذه المسرحية .

وچورج ــ بطل المسرحيـة ــ ممثل وكاتب . وهـو يحاول استغلال أفراد أسرة اليوت ، وهى أسرة ميسورة الحال ساذجة تعيش فى أطراف لندن . ومع أن رب الأسرة لا يأبه لچورج فان هذا الأخير ينفذ الى أغراضه عن طريق الأم ــ لأنه يذكرها بابنها المتوفى ، وعن طريق چوزى الأبنة الغبية الجامدة .

ويعتبر چورج من الفاشلين وان كان يعلل نفسه وسامعيه دائما بأنه فى انتظار النجاح ، وهو بطل أوسبورنى نموذجى من حيث تميزه بالسخط والقلق والاندفاع الى مهاجمة كل ما حوله دون هدف واضح . ويجد چورج فى روث ــ أخت مستر اليوت ــ ذات المبادىء اليسارية ، شخصية تشبهه فى كثير من النواحى ، فهى شيوعية سابقة انفصلت فجأة عن الحزب بعد سـبعة عشر عاما من الانتماء الناشط اليه ، ثم انفصلت بعد ذلك عن خطيبها بعد علاقة دامت ست سنوات لانها اكتشفت ان ارتباطهما لم يقم الا على أساس أكاذيب تافهة ملفقة . وهى مثل چورج غير واثقة من نفسها أو دنياها ، وهى غير راضية عن الوضع الذى استقرت فيه ، ولكنها لا تسيل لتغييره .

وفى لقاء عاصف بينهما ، يبدأ غزلا عاطفيا ولكنه يتحول فجأة

الى صدام عنيف . يفضح كل منهما خبيئة نفس صاحبه ، ويسلم جورج علانيـة بأنه انما يعيش على طائفـة من الأوهام ، وانه لا يعرف لنفسه فى الحق أى مقدرة أو موهبة . وبعد رحلة طوافة فى الأقاليم يجمع فيها بعض المـال ، يتزوج من جوزى ويعيش معها عيشـة ريفية وهو واثق فى صميم نفسه من أن كلتيهما ، الزوجة والعيشة ، ليست على شيء من حقيقة ما يهواه .

ويعتبر النقاد أن هذه المسرحية بما فيهـا من التوازن ، ومن النفـاذ الى أعماق الشخصيات والاحاطة بأبعادها دون اخـلال بحرارة الحوار وقوته ، تعد أكمل أعمال أوسبورن المسرحية .

ويعترف أوسبورن صراحة بتأثره فيهـا بأعمال بريخت التى ألقت فى نفسه شعاعا من النور أعانه على تعرف حدود الواقعية ، والتحرر من قيودها .

ومن أجل هذا كان تأثير بريخت واضحا فى مسرحيته التاليـة ـ المسامر ـ فى عدد من المواضع .

ونؤجل الآن الكلام عن مسرحيـة المسامر ريثما نلقى نظرة متكاملة على بقية أعمال أوسبورن التى تلتها . فقد كتب بعدها مباشرة مسرحية « عالم بول سليكى الخاص » التى وصفها بأنها كوميديا أخلاقية موسيقية ، والتى يرى عامة النقاد ـ وبحق ـ أنها أكثر مسرحياته فشلا ، خصوصا وأنها ظهرت عقب «المسامر» فجاءت ، بالمقارنة الى هذه الأخيرة ، مخيبة لأمل جمهور أوسبورن .

الذى كان يترقب منه عملا آخر بارعا . والظاهر أن هذه المسرحية كتبت قبل « أنظر الى الوراء غاضبا » ، وكانت أول محاولة لأوسبورن فى مجال لا يصلح له البتة ، ألا وهو مجال النقد الساخر لرذائل المجتمع . نعم ان أكثر عبارات أوسبورن اشراقا فى مسرحياته غالبا ما تنطوى على نقدات اجتماعية ، ولكننا لو تأملناها عن قريب لوجدنا أن النقد الذى تضمنته لا يرتكز على دراسة موضوعية عميقة ، وانما هو نقد شخصى مرتبط بالذات التى يجرى على لسانها .

فالنقد الاجتماعى يستوجب قبل كل شىء قسطا من الموضوعية، بحيث يستقصى الناقد أبعاد مواطن الضعف فى موضوعه ثم يتجه اليها فى هجوم مباشر ، مستبدلا اظهار السخط والغضب بسلاح الكشف والتعرية والتهكم المدروس ، الأمر الذى كان أوسبورن أبعد ما يكون عنه فى مسرحية « عالم بول سليكى الخاص » . فقد هاجم فيها كل شىء كبر أو صغر بنفس الدرجة من التوقد والعنف ، فتهزأ من الكنيسة ، ومن الطبقة الارستقراطية ، ومن الصحف المنحطة ، ومن هؤلاء النساء المذكرات والرجال المؤنثين ، ومن فساد ذوق المراهقين فى الموسيقى ، ومن عاطفية المجلات النسوية ، ومن مشجعى الرياضات الدموية العنيفة والعقوبات البدنية ، ومن المناهضين للسامية والتفرقة العنصرية وصنع القنبلة الذرية ، ومن كل شىء آخر يجد فيه شباب الجيل

الساخطون موضعا لسخطهم ، حتى ليصدق على أوسبورن ما هذا ما قاله هو نفسه فى مسرحية « أنظر الى الوراء غاضبا » عن چيمى بطل المسرحية ، من أن مجاهرته بالسخط على أى شىء وعلى كل شىء ، دليل على أنه انسان لا يعوّل عليه .

والواقع أنه لا يمكن أخذ أوسبورن على محمل الجد فى كثير من مواضع النقد التى استهدفها فى مسرحية « بول سليكى » ، وهو صحفى ينقل أحاديث المجالس ويهاجم أصحاب الشهرة ، أراد أوسبورن أن يجعل منه البطل الشرير فى المسرحية ، ولكنه لا يلبث أن يظهره كارها لعمله ، يتردد أحيانا بين الشك والضيق ، ويرى نفسه ضحية الآلة التى يديرها قبل أن يكون محركها ، ثم يرفع عنه اللوم موجها اياه الى فئة غير محدودة ولامعروفة ، هى التى أجبرته على أن يختط فى حياته ذلك الطريق المنكود !!

ومثل هذا ، الأب ايفلجرين ، ذلك القسيس الذى يصوره لنا كالح الوجه مفسدا لا يلقى الا العظات الساخرة ، ويصب عليه أعنف النقد ، ثم لا يلبث أن يرينا انه انما كان قسيسا زائفا ينتحل رداء الكهنوت وهو ليس من رجاله على الاطلاق . واذا بالحملة العنيفة التى يتوهم المرء أنها موجهة ضد الدين أو رجاله تسفر عن « حملة سلام » ضد مقلدى رجال الدين ومنتحلى ثيابهم !!

وكذلك حملته على الطبقة الارستقراطية التى يظن القارىء

أنها من أهداف المسرحية الأولى ، حين يقدم لنا اللورد والليدى مورتليك رمزا لتلك الطبقة بامتيازاتها الجائرة وتقاليدها البالية ، ولكنه لا يلبث أن يجعلهما أحب شخصيات المسرحية وأولاهـا بالعطف ، حيث يخلع عليهما الرقة ودقة الحس والهيبة ، ويرينـا أن لا عيب فيهما وانما العيب فى العالم المجنون المتلبد الذى وجدا نفسيهما فيه !!

أما قصة المسرحية فتـدور حول طائفـة من النساء والرجال ــ على رأسها بول سـليكى وزوجته ابنـة اللورد مورتليك ــ يتواضعون على تبادل العلاقات الجنسية غـير المشروعة ، وعلى أن لا وسيلة للتخلص من ملل الحياة الزوجيـة الا بتغيير رفيق الجنس .

وتتضمن المسرحية أربع عشرة أغنية يصدق عليها ما يصـدق على أغانى مسرحية المسامر من أن الرواية الشعرية ليست الميدان الذى يستطيع أوسبورن أن يبرز فيه .

* * *

وقد كتب أوسبورن للتليفزيون مسرحية وحيدة عنوانهـا : « موضوع فضيحة واهتمام » قدمتها هيئة الاذاعة البريطانية . وتتناول المسرحية حادثا تاريخيا هو محاكمـة جورج هوليوك ، وهو آخر رجل حكم عليـه بالسجن فى بريطانيا بتهمة الالحـاد سنة ١٨٤٢ لأنه صرح فى اجتماع عام بأنه لا يعتقد بوجود الله .

والمسرحية تصوير دقيق لوقائع المحاكمة كما استقاها أوسبورن من الوثائق التاريخية ؛ وهى ترينا كيف أن جورج تولى الدفاع عن نفسه بنفسه رغم ما هو مصاب به من عاهة فى النطق ، ورغم جهلة التـــام بالقانون . كما ترينا أن هذا الرجل بدأ وانتهى لغزا صامتا لم تواته فصاحة اللسان الا مرة واحدة حين وقف بين يدى قضاته يدافع عن عقيدته الالحادية .

والطريقة التى كتبت بها هذه المسرحية تستحق الملاحظة . فقد اعتمد أوسبورن فيها على أسلوب الرواية ، حيث يظهـــر الراوية فى البداية ، ثم كل فترة ؛ ليخبر المشاهدين بما سيرونه من الوقائع، مع التعليق عليها فى بعض الأحيان .

وعلى سبيل المثال تبدأ المسرحية بالراوية يقول للمشـــاهدين : « مساء الخير » أنا محام . لا أهمية لذكر اســـمى لأنه ليست لى علاقة مباشرة بما أنتم مقبلون على مشاهدته . وما أقدمه اليكم هو مجرد سمر ، فليس هناك ما يدعو الى أن تكفوا عمـــا أنتم مشتغلون به . والذى توشكون أن تشاهدوه هو رواية صادقة لحادث غامض فى تاريخ وطنى ، أو وطنكم . وكل ما سأفعله هو أن أسد مواضع الفراغ العارضـــة ببعض الايضاح الضرورى ، كما يفعل معكم مذيعو التليفزيون فى الواقع . ولن أزعجكم حقا بشىء غير مألوف » .

والواقع أن هذا الأسلوب محطم للمسرحية ، اذ ما تكاد تقف

على قدميها حتى يظهر فى الراوية فيباعد بينها وبين المشاهد، ويحول دون استمتاعه بتتبعها . والظاهر أن أسبورن قد تأثر فى هذه المسرحية بأساليب بريخت ، غير أن استخدامه للرواية ينطوى على فهم سقيم لأفكار بريخت ، فضلا عما فيه من غض لذكاء المشاهدين .

* * *

وبعد هذا كتب أوسبورن مسرحيته التاريخية الثانية « لوثر » واتبع فيها كذلك طريقة السرد التاريخى من واقع الوثائق ، وأجرى على لسان لوثر نفس الألفاظ التى نطق بها فى زمانه كلما استطاع أن يعثر عليها .

وقد أخذ على هذه المسرحية ما أخذ على غيرها من أن أوسبورن لم يحاول أن يجعل التأثير الدرامى نابعا من احتكاك الشخصيات المتكافئة واصطراعها ، بل اعتمد على الأحاديث الفردية (المونولوج) المثيرة . وحتى فى المنظر الذى يحتدم فيه النقاش بين لوثر وكاجيتان ــ مندوب البابا ــ نراهما لا يشتبكان أبدا فى المناقشة بحيث يكون كلام أحدهما جوابا على كلام الآخر ، بل يبدو حوارهما (ديالوج) وكأنه حديثان فرديان (مونولوج) جرى المزج بينهما بعناية .

كان من رأى أحد النقاد أن « لوثر » جاءت أعظم دليل مادى على مقدرة أوسبورن فى التأليف المسرحى . غير أن بعضهم لاحظ

أن اتجاهه الى استمداد موضوعه من التاريخ فى هذه المسرحية وسابقتها : « موضوع فضيحة واهتمام » ، بعد وضوح تفاهة موضوع « عالم بول سليكى » ، لاحظوا أن هــذا قد يوحى بنضوب معين الخيال عند أوسبورن ــ ولو بصفة مؤقتة ــ فيما يتعلق بالقدرة على خلق الشخصيات الجديدة والمواقف الدرامية، واضطراره الى تكرار أشخاص وأحداث سبقت الى الوجود .

على أن مسرحية لوثر صادفت نجاحا شعبيا كبيرا ، وثناء حارا من غالبية النقاد ، الأمر الذى يدل على أن أوسبورن قد استطاع السيطرة على المادة التاريخية ، وصوغها فى مسرحية ، وهى وان لم تبلغ حد الكمال فى بعض التفصيلات فانها كتبت ببراعة اجتذبت جماهير المتفرجين ، وأثبتت أن أوسبورن مالك لناصية فن التأليف المسرحى .

* * *

وفى سنة ١٩٦٢ قدم مسرح الرويال كورت لأوسبورن مسرحيتين كل منهما ذات فصل واحد تحت عنوان « مسرحيات لانجلترا » . والمسرحيتان هما : « دم آل بامبرج » و « تحت الغطاء العادى » .

وأولى هاتين المسرحيتين هى ــ باتفاق جميع النقاد ــ أضعف ما كتبه أوسبورن . وهى تدور حول حفلة زفاف فى أسرة مالكة تجلس فيها العروس الملكية فى انتظار عريسها الملكى الذى يقتل

فى آخر لحظة فى حادث فى الطريق ، فتضطر الأسرة انقاذا للموقف لأن تحل محله مصورا صحفيا استراليا تصادف أنه يشبه الأمير المتوفى شبها غريبا حتى لكأنهما توأمان . ومع ما يبدو لأول وهلة من الجرأة فى المسرحية ، باعتبارها تهكما على زفاف ملكى ، فان أسبورن ينتهى بها الى اكتشاف أن المصور الصحفى يجرى فى عروقه دم ملكى يؤهله للزيجة التى أقحم فيها !!

وأما المسرحية الثانية فهى تمثل زوجين — تيم وجينى — يعيشان عيشة عادية من جميع الوجوه فيما عدا هواية غريبة يمارسانها ، هى تمثيل مواقف خيالية يلبسان لكل منها مايناسبه من الثياب ، تكون السيطرة فيها لأحدهما مرة وللثانى مره أخرى . فتكون هى ممرضة شديدة جادة ويكون هو المريض المتألم . أو يكون مخدوما قاسيا غليظا وتكون هى خادمة مضطهدة وهكذا ، غير مدخرين شيئا من الحماس والخيال فى أداء تلك الأدوار . وتكون النتيجة أن يظل هذان الزوجان سعيدين فى بينهما وبين أبنائهما لأنهما يصطنعان نوعا من توازن القوة والضعف ينفسان به عما يفسد حياة غيرهما من الأزواج .

غير أن أوسبورن لا يلبث أن يدخل عليهما ستانلى ، وهو صحفى فضولى حسود ، فيثبت لهما أنهما — دون أن يعلما — ليسا الا أخا وأخته ، ويفرق بينهما ، ويزوج جينى من شخص آخر ، بل ويجعل تيم يحضر حفل زفافها بوصف كونه شقيقها .

ولكن هـذا الزواج لا يدوم ، اذ نرى بعد قليل تيم وجينى قد اجتمعا ، ونرى ستانلى يطرق بابهما ليحدثهما ولكنه لا يحظى بجواب .

وتعرض هذه المسرحية فى نصفها الأول موضوعا جديدا ، أو هى على الأقل تعرض موضوعا مطروقا ــ العلاقة الزوجية ــ من زاوية جديدة . وهى الى هنا تعتبر من خير ما كتبه أوسبورن بعد مسرحية « المسامر » ، غير أنها فى جملتها تنبو عن المعقول والمقبول ، اذ يهدم فى نصفها الثانى معظم البناء الدرامى الذى أقامه فى النصف الأول .

* * *

نصل الآن الى مسرحية « المسامر » ، وهى ثانى مسرحية لأوسبورن عرضتها فرقة المسرح الانجليزى على مسرح الرويال كورت بلندن ، بعد مسرحية « أنظر الى الوراء غاضبا » .

وهى من حيث القالب مسرحية نصف شعرية نصف موسيقية ــ ان صح هذا التعبير ــ حيث تتخللها عشر أغنيات (منهما اثنتان معادتان) يؤدى آرشى بطل المسرحية ثمانيا منهما على المسرح الذى يحترف العمل عليه ، وهو المسرح الذى ينقلنا اليه أوسبورن من موطن أحداث القصة الأصلية للمسرحية (وهو بيت أسرة رايس) كل فترة ، نقلا لا يخلو من الافتعال . وقد قصد أوسبورن بهذا أن يخرج لجمهوره بمسرحية موسيقية فى المقام الأول ، فهو يقول فى ملاحظة له فى صدر المسرحية :

« ان صـالة الموسيقى تحتضر فيحتضر معهـا جزء هام من انجلترا . لقد ضاع جزء من قلب انجلترا ، هو ذلك الشيء الذى كان كل انسـان يعتبره ملكا خالصا له ، لأنه كان فنا شعبيا حقـا » .

غير أن هذه المحاولة تمت فى الواقع لحساب خلخلة البنـاء الدرامى للمسرحيـة ، حيث تبدو الأغانى على الصـورة التى وضعت بها حشوا شاذا فى ثنايا هيكلها العـام ، وان خفف من شذوذها ان محمولها يتمشى مع المضمون العام للمسرحية ، من اظهار السخط والاشمئزاز على ما طرأ فى دنيـا الناس ودنيـا المسرح على السواء من مساوىء .

ويقوم بناء المسرحية على سلسلة من المشاهد الواقعية التى تروى قصة آرشى رايس ، وهو ممثل هزلى يدير فرقة استعراضية تعمل فى احدى المدن الساحليـة ، وتعتمد على عرض النسـاء العاريات خلف السـتائر الرقيقة ، ولذا فهى تسمى « الوضـع العـارى ــ أو الوضع المجـدد ــ لرقصة الروك آند رول » (أنظر النص) .

وتدل شخصيـة آرشى وتصرفاته على أنه جلف منحل فارغ كالطبل الأجوف ، لايستطيع ــ ولا يريد ــ أن يصل حبله بأى علاقة انسانية نقية سواء مع أفراد أسرته أو سائر الناس .

ففى محيط أسرته نراه يحب أباه « بيلى » ، وهو ممثل متقاعد

من بقايا عصر المسرح الوقور المزدهر ، ولكنه يثير حنقه وسخطه على الدوام بما ينزلق اليه فى عمله من التهريج الرخيص فى « سوق اللحم العارى » ، وما يتورط فيه من مشروعات مسرحية خاسرة تسوقه الى الافلاس وتهدده بالسجن مرة بعد أخرى .

أما بالنسبة لزوجته « فوبيا » فهو مشفق يرثى لحالها — وهى الجاهلة الساذجة — ولكن هذا لا يمنعه من أن يكون زير نساء تبلغ به الجرأة أن يجلب الفتيات الى البيت ودون حياء أو مداراة ، وأن يكاشف أبناءه بوقائع تبذله ودنسه . بل انه يريد آخر الأمر أن يطلق زوجته ليتزوج من فتاة فى عمر ابنته ، ليستطيع أن يحصل من والديها على مال ينقذ به نفسه من الافلاس ، لولا أن أباه « بيلى » يسارع الى ابلاغ أسرة الفتاة أنه رجل متزوج له ثلاثة أولاد ، وهو العدد المعترف به شرعا على الأقل .

وابنته الكبرى « جين » فتاة مثقفة — على خلاف أخويها — ذات ميول يسارية غامضة ، فى خلقها بعض التعالى ، ولذا فان أباها آرشى يعاملها بحذر ومداورة ، ولكنها تحاصره فى النهاية وتمطره وابلا من السخط والتجريح .

أما « فرانك » ولده الكبير فهو شخصية معتلة ، عاطفى خجول ، امتنع من تقديم نفسه للجندية فحوكم وحكم عليه بالسجن ستة شهور قضاها يعمل وقادا فى أحد المستشفيات ، ثم خرج منها محطما بلا عمل ولا أمل .

ويبقى ولده الأصغر « ميــك » الذى نسمع عنه ولا نراه ، وهو الذى يحمل الطرف الآخر من مأساة أسرة « رايس » . ذلك أنه يتقدم للجنــدية بمجرد اســتدعائه ، ولكنهم لا يلبثون أن يرسلوه للقتال فى معركة غير مفهومة الدوافع فى أرض نائية عن الوطن ، ألا وهى معركة السويس ، وفيما تنتظر الأسرة كلهــا عودته خلال أيام تفــاجأ به يعود مسجى فى أكفــانه ، لقد قتله « الأعداء » .

وحتى هذه المحنة لا تمس آرشى الا لحظــات قلائل يعــود بعدها الى حاله انسانا ميتا لا أمل فى قيامه .

والواقع أن أوسبورن قد اتخذ من أسرة رايس مطية رمزية حملها كافة وجوه اليأس والخذلان التى أصــابت الامبراطورية والشعب الانجليزى بعد سنوات طوال من النصر الظاهرى الذى أصابته انجلترا فى الحرب العالميــة الأخيرة ،سنوات طوالا من الترقب والانتظار لم يجن من ورائها جيل أوسبورن الا الخيبة والمرارة .

وعلى ألسنة أفراد هــذه الأسرة ألقى أوسبورن بكل سخطه وهزئه فى جرأة مذهلة .

* * *

فهو يعرض للناظر « بريتانيــا » ــ وهى الصــورة الرمزية التقليدية للامبراطورية ــ فى شكل فتاة ما تزال تحمل الخوذة

على رأسها والحربة فى يدها ولكنهـا عارية جردت من ثيابهـا ووقفت هناك نهبا للانظار .

وفى احدى أناشيده يقول ــ على لسان آرشى :

« نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحد ... يا انجلترا العجوز الطيبة أنت لى كقدح الشاى ... لا تدعوا مشـاعركم تتوزع ... لأن البريطانيين سيـكونون أحـرارا ... والجيش والبحرية والطيران هى كل مانحتاجه لحمل الهدامين على أن يروا أنه مازال ملكا لـكم ذلك الأحمـر والأبيض والأزرق (العلم البريطانى) وهذه القطع الحمراء التى مازالت على الخريطة لن تتخلى عنها دون قصاصة من الورق . فما لدينا مما بقى سنحافظ عليه ونرفعك أيها العلم » .

وفى نشيد آخر يقول آرشى :

« عند ما يهدد تراثنا فى الوطن أو عبر البحار ، فان الشباب من أمثالنا ، نعم أنتم وأنا ، هم الذين سيسيرون مرة أخرى الى النصر . يقول بعض الناس أننا انتهينا ... أصبحنا فى خبر كان ، ولكننا لو وقفنا جميعا الى جانب هذه الأرض العزيزة العريقة ، فان المعركة ستكسب » .

وفى معرض التنـدر بما وصلت اليه بريطانيـا من العـوز واستنزاف الموارد يغنى فرانك أغنية يصفها بأنها « بريطانية جدا ودينية جدا » فيقول :

« بعد ما هتفتم احكمى يا بريطانيـا ، وبعد ما غنيتم « حفظ الله الملكة » ، وبعد ما انتهيتم من قتـل كروجر (اشـارة الى الألمـان » بأفواهكم ، ألا تتعطفون فتسقطون شـلنا فى رقى الصغير ، لسيد يلبس الكاكى تلقى الأمر بالسفر الى الجنوب ؟

« انه شحاذ شـارد اللب كثير مواطن الضعف ... ذاهب الى الخدمة العاملة وقد خلف وراءه كثيرا من الأشياء الصغيرة .

« خمسة آلاف حصان ورجل تلقت الأمر بالسفر الى خليج تيبل ، كل منهم يؤدى عمل بلاده ، ومن الذى سيرعى الفتاة ؟ »

وأخيرا يعرض أوسبورن وجهة نظر المواطن البريطانى فى تلك السياسة الامبريالية التى ما تزال حكومة بلاده متعلقة بها ، والتى بدأ خرقهـا أوضح ما يكون فى حرب السويس ، فيقول على لسان جين بعد أن تلقت خبر مقتل أخيها ميك :

« لمـاذا يموت الأولاد أو يوقدون الغـلايات ؟ لمـاذا تقع بنا هذه الأشياء ؟

وما الذى نأمل أن نحصل عليه منها ؟ وفى مساندة ماذا هى كلها ؟ أهى كلها حقا من أجل يد تلبس القفاز وتلوح لك من عربة ذهبية ؟ »

وتقول فوبيا الأم :

« لست أدرى لمـاذا يرسلون هؤلاء الصبيـة الى الخـارج ليحملوا عبء القتال . انهم ليسو الا صبية صغارا » .

ويروى آرشي واقعة شهدها بنفسه عن جماعة من الملونين رآهم فى (الأوتوبيس) فى طريق عودته الى المنزل فيقول :

« كانوا يتحادثون معـا طول الوقت والكل يصغى اليهـم . وبمجرد أن قمت لأضغط على الجرس صاحت امرأة : « لقـد فقدت ولدين فى الحرب من أجل أمثالكم » ، فظننت لحظة أنها تقصدنى ، ولهذا استدرت ، ولكنى وجدتهـا تضربهم بمظلتها وكأنما جن جنونها » .

وتعكس جمل الحوار التالية تقدير المواطن الانجليزى لساسة بلاده على اختـلاف مشاربهم ، وهى تجرى بين « بيلى » أكثر شخصيات المسرحية وقارا واتزانا وبين حفيدته چين وهو يحدثها عن سيدات زمانه مقارنا اياهن بنساء العصر :

« بيلى ــ أما الآن فمن المتعـذر فى أغلب الأوقات تميـيز النساء من الرجال ، خصوصا من الظهر ، بل انه حتى من الأمام يجب أن تتفرسى جيدا فى بعض الأحيان .

چين ــ مثل الحكومة والمعارضة .

بيلى ــ ما هذا ؟ مثل الحكومة والمعارضة ؟ لا تكلمينى عن الحكومة ، ولا عن تلك الطغمة الأخـرى . مجموعة دنسـة من الأوغاد ، يستحقون السجن » .

ويصدر أوسبورن حكمه على حزب المحافظين (التورى) الذى كان يضطلع بالحكم فى حرب السويس ، وقت أن كتبت المسرحية، فيقول على لسان آرشى الذى كان يقص على الأسرة شيئا عن زميل قديم له فى العمل يدعى « روزى » :

« كان روزى يعرف من الألفاظ القذرة أكثر مما قد تسمعه فى أى مكان فى أى ليلة سبت ... غير أن أقبح كلمة من أربعة حروف فى الانجليزية أو أى لغة أخرى عند روزى كانت كلمة « تورى » (محافظ) وكان يطلقها على أى شىء بشرط أن يعتقد أنه على درجة كافية من السوء » .

أما موظفو الدولة فيصفهم بيلى — الشيخ المحنك — بقوله مخاطبا چين :

« لا فائدة من أن تتركى هذا الأمر للحكومة فتكله الى فئة من مصاصى الدماء الذين ليس لديهم المقدرة على فعل شىء لأنفسهم » .

وفى أكثر من موضع يندد أسبورن بفداحة الضرائب التى تجبى من المواطن الانجليزى حتى ليتردد ذكر « محصل ضريبة الدخل » كما تتردد أسماء المردة والشياطين . وها هو آرشى يفاجىء أسرته ذات ليلة بأنه يقيم احتفالا « بمناسبة الذكرى العشرين » . فاذا سألوه أى ذكرى هذه قال : « الذكرى العشرين

لعدم دفعى ضريبة الدخل ... انى لأظن هذا انتصارا بالغ الدلالة ، وانى لأستحق نوعا من الجائزة عليه » .

ويكشف أوسبورن عما أصبح يعانيه سواد الشعب من الضيق واليأس حين يقول على لسان فويبا : « ... ان حالة العمل سيئة ، هذا هو الواقع . ان الناس ليس معهم نقود ... » ثم يقول على لسان فرانك وهو يخاطب أخته :

« تلفتى حولك . هل تستطيعين أن تجدى سببا واحدا قويا للبقاء فى هذا الركن المريح الصغير من أوروبا ؟ لا تخدعى نفسك فتظنى أن أحدا سيتركك تفعلين شيئا أو تحاولين شيئا هنا ياچين . لأنهم لا يسمحون . ما من فرصة أمامك . من أنت ؟ أنت لاشىء ، فليس عندك مال ومازلت صغيرة . وعندما تبلغين آخر الشوط من المؤكد جدا أنك ستظلين لا شىء ، وستظلين بلا مال . والفارق الوحيد أنك ستكونين قد بلغت الشيخوخة . من الخير لك أن تبدئى فى التفكير فى نفسك ياچين لأنه ليس هناك من سيقوم عنك بهذه المهمة ... لأنه لم يبق من يؤمن بهذه الأمور الآن ... قد يقولون انهم يفعلون ، وقد يقتطعون بضع دراهم من أجرك كل أسبوع ويلصقون بعض الطوابع على بطاقتك ليقنعوك ، ولكن لا تصدقى فلن تجدى انسانا يعيد النظر الى وجهك ، انهم جميعا مشغولون جدا ، يرمحون معا فى وسط الطريق غير آبهين الى أن يذهبوا طالما أنهم فى الوسط الملعون ... أولاد الحرام المتهرئون ... »

ولعل أبلغ عبارات أوسبورن دلالة فى هذا الصدد ما يقوله آرشى :

« ... نحن موتى مكدودون مضيعون . نحن سكيرون مجانين . نحن حمقى ، نحن تافهون ... نعم فان لنا مشاكل لم يسمع بها أحد . نحن شخصيات فى مسرحية لا يصدقها أحد . نحن شيء يتندر به الناس لأننا أبعد ما نكون عن الحياة العادية للبشر .... لسبب بسيط هو أننا لسنا مثل أى آدمى عاش على وجه الأرض ... نحن عوامل ضيق لا نفعل شيئا مما يثير اهتمام الخالق القدير . نحاول طول الوقت أن نسترعى انتباه انسان ما لمشاكلنا القذرة الحقيرة غير المعقولة التافهة ... »

* * *

هذه بضعة من نظرات أوسبورن فى الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى سادت انجلترا وقت أن كتب مسرحيتيه « انظر الى الوراء غاضبا » و « المسامر » . وهى تصور لنا عالمه الذى يعيش فيه عالما فاسدا منحلا يغشيه البغض واليأس . واذا كان المسرح هو الرمز الحى المتحرك لأى شعب من الشعوب فها هو أوسبورن يقدم لنا صورة هذا الرمز مجسدة فى شخصية آرشى كممثل وفى وصف آرشى لجمهور الناس كمشاهدين :

« ... انظرى الى هذا الوجه . أنظرى اليه . هـذا الوجـه يسـتطيع أن يتفجـر حـرارة وانسانيـة ، يسـتطيع أن يغنى وأن يحـكى أردأ الحـكايات فى العـالم وأبعدهـا عن الاضحاك لمجموعة كبيرة من الجذوع الميتة الخاوية ، دون أى اهتمام ... انظرى الى عينى . اننى ميت وراء هاتين العينين . اننى ميت ، تماما مثل تلك الجموع الجامدة الزائفة التى هناك . لا اهتمـام لأنى لا أشعر بشىء ولا هم يشعرون . كلانا ميت كصاحبه .... »

* * *

وبعد فقد رأينا أوسبورن يحمل علم الجديد فى مسرحيتيـه « انظر الى الوراء غاضبا » و « المسامر » حتى بلغ به حد الثورة فى عالم المسرح المعاصر ، ثم رأينا موهبته تتأرجح بين المد والجزر فى مسرحياته الأخرى . غير أنه مايزال حيا يرزق ويكتب ، ولذا فان الوقت لم يحن بعد لاصدار الحكم الأخير عليه ؟

محمد توفيق مصطفى

الشخصيـــات

Billy Rice	بيلى رايس
Jean Rice	جين رايس
Archie Rice	آرشى رايس
Phoebe Rice	فوبيـــا رايس
Frank Rice	فرانك رايس
William Rice (brother Bill)	وليم رايس (الأخ بيل)
Graham Dod	جراهـــام دود

الفصل الأول

المكان : تقع الحوادث فى موقع ساحلى فسيح . والبيت الذى تقيم فيه أسرة رايس هوواحد من تلك المبانى العالية الكئيبة التى كان يشيدها ثراة رجال الأعمال فى مطلع القرن ، خمس وعشرون دقيقة فقط بعربة الخيل المفردة حتى مدخله . فى الوقت الحاضر تعج عربات الترولى باس مارة بالطريق الأمامى غاصة بعمال المصانع الصغيرة التى تكاثرت فى أرجاء المكان . هذا جزء من المدينة لا يراه طلاب النزهة أبدا ، أو أنهم اذا رأوه يقررون الرجوع الى حدائق النزهة . انهم يركبون القطار ساعتين أو ثلاثا ليتجنبوه . بل انه ليس من المتعين عليهم أن يمروا به فى طريقهم من المحطة المركزية لأنه مدينة قائمة بنفسها لها محطة خاصة فسيحة جداً ألحقت بها مساحات كبيرة من حظائر البضائع وأحواش التحويل . وقطارات الخطوط الرئيسية لا تقف هناك على أى حال . فهو ليس منطقة سكنية ، ويصعب اعتباره منطقة صناعية . تكثر فيه الأماكن الفضاء القذرة ، والجدران المرتفعة السوداء ، وبه مخزن للغاز ومدخنة طويلة ، وطريق رئيسى يعج بالتراب وسيارات النقل . والحوانيت متناثرة على زوايا الأزقة الضيقة ، محل لبيع الصحف ، وبقالة عمومية ودكان للسمك وشرائح البطاطس .

الافتتـــاح

فى خلال فترة الاستراحة تدلى لافتة اعلان

(١)

فى الخلف ستار خفيف (من الشاش) يبدو وراءه جزء من المدينة . وأمامه منصة مرتفعة تؤدى اليها بضع درجات . طوابق بارتفاع الركبة وهيكل باب تقوم مقام جدار . يستعان على عرض المناظر بالستائر المدلاة . حيث تدلى ستائر مختلفة للمناظر المختلفة لتحـديد مساحات الأداء ، وكذلك ســتائر مرخاة من القماش الأسود أو النسيج السميك . هناك بابان عن يمين ويسار الستار الخلفى . الاضـــاءة من النـــوع الذى تتـوقع رؤيتـــه محليـا . كل شىء يسلط عليـه الضـوء يبـدو واضـحا محددا ، أو مجرد مساحة ضـوئية متحركة . على أنه يجب أن تضاء المناظر أو الفواصـل التى بينهـا كمجرد نقلات بسيطة . الأثاث والركائز بسيطة كما لو كانت معدة لفاصل قصير . على كل من جانبى المسرح مربع تظهـر فيـه أرقام تتـابع المناظر . المشكلات الموجودة هى أساسا نفس المشكلات التى تواجه أى مدير مسرح مقيم عقب الحفلتين الليليتين صباح كل يوم من أيام الاثنين طوال حياته الفنية .

موسيقى : الأحدث ، الأكثر صـخبا ، الأردأ . ســتار أمامى من (الشاش) مرسوم عليه صور كبيرة لفتيات عاريات بأيديهن

مراوح زاهيــة الألوان وهن يتراقصن فى مرح ، ومكتوب عليه بحروف كبيرة كلمات «الوضع العارى لرقصة الروك آند رول». ومعناها حرفيا رقصة الروك آند رول المجددة . ولكن الكاتب يقصد استغلال كلمة Nude (مجدد) لأنها تلفظ ككلمة New'd (عارى) ...

وراء ستار الشاش الخلفى يكشف الضوء عن رجل كهل يمشى عبر المسرح من اليسار الى اليمين . وعندما يصــل الى منتصفه يقف وينظر الى أعلى . تسمع صيحات وصراخ . ضــجة امرأة تحاول الحيلولة بين رجلين ــ لعلهما ابنها وعشيقها . صــيحات « أوه ، اتركه وشأنه ! لا تفعل هذا ، أرجوك لا تفعل هــذا ، اتركه وشأنه » . يمشى الى اليمين خارجا من المسرح ثم يعــود للظهــور بجانب الستار المتدلى متجهــا نحو الوســط . تسمع أصوات ســقوط وضربات . يقف ثانية ثم يسير . تصرخ المرأة بصوت عال هذه المرة . يقف ثانية ويستدير ثم يصيح مطلا من (الدرابزين) « هــل يضيركم أن تلتزموا الهــدوء تحتنا من فضلكم » . ينصت دون استجابة . « هلاّ تفضلتم بالكف عن كل هذا الضجيج ! ! » .

يحاول أن يجعل صــوته يبدو مترفعا ، ولكن صــوته قوى فتسكت الضجة لحظة فيومىء برأسه ويبدأ فى التحرك . يصيح

Rock'n Roll New'd Look

صوت « لمـاذا لا تقفـل فمك الواسـع الكريه أيهـا الأحمق المـأفون » . صـوت بكاء امرأة يقطـع آخر الجملة فيتردد الرجل الكهل ثم يستدير وينادى من أعلى الدرج : « هل أنت بخير يا سـيدة ... ؟ » . يسمع صوت رجل متعجلا متحمسا . باب يصفق ، وتكتم الضجة ، ويظل البكاء مسموعا ولكن يبدو أن السيطرة على الموقف قد ازدادت . يعود الكهل الى الوسط ويدخل من هيكل الباب .

بيلى رايس رجـل أنيق فى السبعينات ، شـديد الاعجاب بجسده نتيجة الاعجاب الذى لقيه طول عمره باعتباره « رجـلا مليح القوام » . فهو رشـيق مستقيم العـود ، رياضى . يلتمع بمظاهر العيش الرخى . شعره ، وقد وخطه الشيب ، كثيف ناعم بسبب ترجيله الشديد يوميا ، ولعل ملابسه عمرها ربع قرن ـ بما فيهـا الحذاء الرسـمى المدبب ـ ولكنها أنيقة مكوية بعناية . سلسلة ساعته تلمع . ياقته مثبتة بدبوس تحت الرباط الأسـود المحكم العقد . وقبعته السمراء مثبتة على زاوية طفيفة جـدا . يتكلم بلهجة مترفعة « ادواردية » ـ خليط من لهجة اكسفورد والعامية ينطق فيها حرف السين بقوة ولكنها مع هذا بعيدة عن أن تبدو تماما كلهجة الطبقة العليـا أو كاللهجات القديمة . فهى فى الواقع ليست لهجـة طبقة بل لهجـة عصر ، مما لا يسمعه الانسان كثيرا فى هذه الأيام .

يرفع الستار الخفيف الأمامى .

يسير الى الوسط فيضع جريدة مطبقة وزجاجتى بيرة وبرقية يلقى عليها نظرة عاجلة . يسير الى الباب الأيمن فى مقدمة المسرح ويدخل منه وهو يغنى بصوت أجش ولكنه مرح :

« أينها الصخرة التى نحتت لى منذ القدم
دعينى أخبىء نفسى فيك »

يعود للظهور بقميصه وهو آخذ فى ارتداء ازار من الصوف فوق صدريته . يجلس وهو ما يزال يغنى ويصب لنفسه قدحا من البيرة ويبدأ بفك رباط حذائه ثم يضعه فى صندوق محشو بالورق فى مؤخرة المسرح فى الوسط . تسمع الضجة مرة أخرى أسفل الدرج . يشرب من قدح البيرة ثم يتناول مبرد أظافر ويقف منظفا أظافره بخبرة ، كما لو كان ينفض ذرة موهومة من التراب . صرخة من أسفل الدرج . يتكلم بيلى باهتمام وتدبر .

بيلى : بولنديون وايرلنديون مجرمون !!
يجلس ويلبس (شبشبه) — (دق على الباب الأمامى ، يتناول نظارته من علبته ويلبسها) .

انى أكرههم أولاد الحرام .

(يفتح جريدته . جرس الباب ما زال يدق . تبدو عليه المضايقة ولكنه قد رفع

قدميــــه مؤثرا الراحـــة على الحركة .
يغنى بمرح وكأنمـــا يريد أن يغطى على
رنين جرس الباب) .

بيــلى : أنا قريب منك يا الهى
قريب منك
(يصغى ثم يتابع الغنـــاء) .
حتى لو كان صليبا
ذلك الذى يرفعنى
(يتناول الصحيفة وينظر فيها باهتمام) .
فان كل ترانيمى ستكون
أنا قريب منك يا الهى
قريب منك .
(يضع الصحيفة) .
ـ (واقفا) لمـــاذا لا يفتحون الباب اللعين .
(يعتمد بذراعيـــه على الكرسى مفكرا
فيما اذا كان عليه أن يذهب آخر الأمر) .
ـ يجب أن يسجن بعض هؤلاء الناس .
(يبدو أن ليس عليه أن يذهب آخر الامر
فيعود للجلوس فى مرح) .
(يتناول الصحيفة ، ثم يلقيها فجأة) .
ـ مخلوقات قذرة متعفنة .

ـ يا الهى ، أشعر بتيار هواء .

(يقوم فيذهب الى الباب وينظر للخارج) .

ـ أراهن أنهم تركوا الباب الخارجى مفتوحا .
فلاحون .. هكذا هم .

(يتناول « بطانيـــة » ويسويها أسفل
البـــاب) .

ـ يظهر أنهم ولدوا فى الغيطان ... حيوانات
(يعود الى الكرسى ويجلس) .
كالحيوانات ... كالحيوانات المتوحشة .

(يستقر فى جلسته . تدخل من البـــاب
الخلفى الأيسر فتـــاة شابة . بيلى يصب
لنفسه بعض البيرة . الفتاة تقرع الباب .
فيصغى) .

ـ من هـــذا ؟

(تقرع الفتاة البـــاب ثانية) .

ـ من هذا ؟ أنا لاأستطيع أن أجد أى هدوء فى
هذا البيت اللعين .

الفتـــاة : أهذا أنت ياجدى ؟

بيـــلى : ماذا ؟

الفتـــاة : أنا چـــين .

بيلى : (وهو ينهض) من هذا ؟

جين : أنا ... چين .

بيلى : (يذهب الى البـاب ويقف خلفه) لا أستطيع حتى قراءة الصحيفة فى هدوء . من ؟

جين : أنا حفيدتك .

(تحاول جين دفع الباب ولكن البطانية تمنع فتحه) .

بيلى : دقيقة واحدة !! دقيقة واحدة !! شذى عنـان جوادك .. (ينحنى) .

جين : متأسـفة .

بيلى : شذى عنان

(يرفع البطانية ويفتح الباب فينفرج عن جين رابس وهى فىحوالى الثانية والعشرين سمراء ذات اسنان بارزة قليلا ، ضعيفة النظر من النوع الذى يسميه معظم الناس عاديا ولكن روح الفكاهة والرقة قـد بدأت تثبت طابعها حول أنفها وعينيها . أما فمها فواسع ملىء) .

جين : هالو جدى .

بيلى : لقد عجبت من يكون الطارق بحق الجحيم .

جـين : أنا آسـفة .

بيـلى : ظننت أنه واحد من هؤلاء النـاس المجانين . لا بأس ، ادخلى ان كنت داخلة ، ان الوقوف تجاه الباب يعرضنا للتيار ، لم أجلس الا منذ لحظة .

جـين : (داخلة) هل أزعجتك ؟ أنا آسـفة .

بيـلى : لم أجلس الا منذ لحظة لاقرأ صحيفة المساء . ان هذا المكان زريبة قذرة .

جـين : حسنا . كيف حالك ؟

بيـلى : زريبة قذرة . انهم يستحقون السجن . وأنت تعرفين الحال الآن ، ألا تعرفين ؟ ألا تعرفين من عندها فوق فى حجرة ميك القديمة ، ألاتعرفين؟ شخص أسود . هذا حق . أقول لك لقد أتيت الى مستشفى مجانين هذه المرة .

جـين : انك تبدو على أحسن حال . كيف صحتك ؟

بيـلى : اننى على ما يرام . لابد أن تتوقعى قليـلا من الأوجاع والآلام عند ما تصلين الى سنى . لقد ذهبت فوبيا الى السينما على ما أظن ، لم تقل لى انك قادمة .

جـين : انى لم أخبرها .

بيـلى : نعم ، انها لم تقل أى شىء . ولذا لم أكن أتوقع طرق الباب .

جـين : لم أقرر الحضور الا هذا الصباح فقط .

بيـلى : منذ لحظة فقط جلست لأقرأ صحيفة المساء ..

جـين : أنا آسـفة ... لقد أزعجتك .

(وقـد أحسنت فهم الموقف ، فقـد وضح أن أمسيته قد أزعجت . يزول عنه مظهر المضايقة فيبتسم قليلا . وهو مسرور لرؤيتها على أى حال) .

بيـلى : لا بأس . أعطى جدك قبلة ، هيا .

(تفعل ذلك) .

جـين : انه لحسن أن أراك .

بيـلى : انه لجميل ان أراك يا حبيبتى . انها لمفاجأة الى حد ما . هيا تخففى .

(جين تخلع معطفها وترمى علبـة من السجاير على المنضدة) .

جـين : أحضرت هذه لك .

بيـلى : لن تتأخر فوبيـا طويلا . ما الذى خرجت من أجله ، لا أدرى .

جين : ذهبت الى السينما ، أليس كذلك ؟

بيلى : انها مجنونة . أوه ، هذا لطيف جدا منك . لطيف جدا . أشكرك . نعم لقد قالت انها ستبكر فى الذهاب . لست أدرى لماذا لا تستطيع البقاء فى البيت .

جين : أوه انك تعلم ... لقد كانت هكذا على الدوام . ان هذا يسرها .

بيلى : أوه ، سيكون عليها أن تتعلم . انها لم تعد صغيرة بعد . عندما تصل الى سنى لن تفعل هذا .

(يفتح علبة السجاير ويخرج مبسما من العاج من صدريته) .

أوه ، هذا جميل منك . أشكرك . ومع هذا فلو بقيت فى البيت فانها لا تكون الا عنصر مضايقة ، وأنا لا أطيق المشاجرات . لم أعد أطيقها .

(يحدق أمامه) لا فائدة ترجى من مناقشة فوبيا على أى حال . أتأخذين شيئا من البيرة ؟

(تهز رأسها) .

انها لا تريد أن تصغى اليك وكفى . أواثقة من أنك لا تريدين . هناك سلة كبيرة فى المطبخ ، أحضرها فرانك هذا الصباح .

جـــين : لا ، شكرا يا جدى .

بيـــلى : لا ... عندما تعتريها هذه الحالة لا أفعل شيئا سوى أن أخرج .

جـــين : والى أين تذهب ؟

بيـــلى : أتمشى أو أذهب الى النادى . انك لم تذهبى الى النادى . أوه ، اذن فلابد من أن آخذك . انه فى منتهى الهدوء ، ليكن فى علمك ، فيما عدا أيام العطلة الأسبوعيـــة حيث تأتى بعض الزوجات ، ولكن أغلبهن منالزمن القديم مثلى.

جـــين : يبدو أنه شىء سار .

بيـــلى : نعم انه مكان ما يمكن الذهاب اليـــه عندما يضيق صدرك بالبيت . لا تظنى انه يتفق كثيرا مع ذوق الشـــباب من أمثالك . وأحسب أنك تفضلين الذهاب الى تلك المحلات التى تعزف فيها موسيقى الجاز .

جـين : انى أحب أن أذهب الى النـادى . لابد أن تأخذنى .

بيـلى : أحقا تريدين ؟ تريدين ؟ وهو كذلك . ولكن أنبهك ، لن تجدى هنـاك شيئا من موسيقاكم الحمقاء ، كم ستبقين هنا ؟

جـين : عطلة آخر الأسبوع فقط .

بيـلى : سنذهب مسـاء غد . انهـا ليلة طيبة ... يوم الأحد ... أغنى لهم بعض الأغنيات القديمـة أحيانا عندما أحس بالميل الى ذلك . لم أفعل ذلك مؤخرا ، ومنـذ فترة طويلة . يبدو اننى لا أحس ميلا الى ذلك .

جـين : أين أبى ؟

بيـلى : فى المسرح . انه يمثل هنا ... على مسرح الجراند. هذا الأسبوع كما تعلمين .

جـين : أوه ، نعم ، طبعا .

بيـلى : يبدو اننى لا أحس ميـلا الى ذلك هذه الأيام .. انك تحسين ببعض الضيق أحيانا من الجلوس هنا . واذ ذاك هناك محل كامبردج فى نهـاية

الشارع ، أذهب اليه بالطبع ولكن الناس أصبحوا غير الناس ، كما تعلمين . ماذا عن الأخبار : ـ آه ـ ؟ انها تثير الضيق . ما رأيك فى كل هذه الضجة القائمة فى الشرق الأوسط ؟ يبدو أن الناس يستطيعون أن يفعلوا بنا ما يشاؤون . ما يشاؤون تماما . انى لا أفهم هذا . الحق انى لا أفهمه . ارشى يذهب الى هذا المحل اللعين بجوار ساعة البرج .

جين : الروكليف .

بيلى : نعم الروكليف . كل ولد مشاكس مغامر فى هذا الحى يذهب الى ذلك المحل فى عطلة آخر الأسبوع . حاول آرشى أن يأخذنى الى هناك ذات يوم . لا ، شكرا . انه ليس الا سوقا للحم العارى .

جين : وكيف حال أبى ؟

بيلى : انه أحمق .

جين : أوه ؟

بيلى : يصرف المال على فرقة متجولة .

جين : لم أعلم بهذا .

بيــلى : أوه ، انها واحدة أخرى من أفكاره الحمقاء . لقد رفض أن يصغى الى . انه يضيع نصف وقته فى ذلك الروكليف .

جــين : نعم نعم . وأى نوع من البرامج هذه المرة ؟

بيــلى : أوه ، انى لا أتذكر اسمه .

جــين : هل رأيته ؟

بيــلى : لا ، لم أره . ولن أراه . هؤلاء العاريات . انهم يقتلون المهنــة . على أى حال .. أنا أقول له دائما ... انها ماتت بالفعل . ماتت منذ سنين . لقد كانت منتهية ميتة عند ما تركتها لقد تنبأت بذلك ، فهجرتها . انهم لم يعودوا يريدون أناسا جادين .

جــين : لا ، انهم لا يريدون على ما أظن .

بيــلى : انهم لا يريدون بشرا . لم يعودوا يريدون ، كنت أتمنى ألا ينغرز فى هذا الروكليف . انه يحصل على نصف فتياته العاريات من هناك . (متحمسا) انى لأعجب لمــاذا يأخذ رب أسرة زوجتــه وأولاده ليروا بضعة من بغايا الدرجة الثالثــة

وهن واقفات عرايا ؟ لقـــد عدمن حتى القوام
هذه الأيام . كلهن جلد على عظم .

جـــين : (تبتسم) مثلى .

بيــلى : كلا . انك لا تقفين وسط الناس وأنت متجردة
من كل شيء ليحملق فيك كل انسان ويباركك
الله من أجل ذلك . بل انك لا ترين أبدا امرأة
ذات قوام جميل حقا هذه الأيام . لا ، أستطيع
أن أذكر لك الآن شيئا عن النساء الجميلات ،
نعم أستطيع . ولم يكن جمالهن كله مصطنعـــا
بمساحيق الزينـــة . لقد كن سيدات . سيدات
تخلعين قبعتك احتراما قبـــل أن تجرئى عـــلى
مخاطبتهن . أماالآن فمن المتعذر فى أغلبالأوقات
تمييز النساء من الرجال . خصوصا من الظهر .
بل انه حتى من الأمام يجب أن تتفرسى جيـــدا
فى بعض الأحيان .

جـــين : مثل الحكومة والمعارضة .

بيــلى : ما هذا ؟ مثل الحكومة والمعارضة . لاتكلمينى
عن الحكومة ، ولا عن تلك الطغمة . مجموعة
دنسة من الأوغاد ، يستحقون السجن . لا ،

ان آرشى لأحمق ، انك لا تظفرين منـه حتى بالاصغاء . ولهذا تماشيت مع فويبا . لقد كان عليها أن تجارى الأمور ، بوسعى أن أقول لك هذا . ولكن ليس على أن أقوله لك . أخشى أنه سيسقط بل فى أقرب وقت . لقد قضم أكثر مما يستطيع أن يمضغ .

جين : تعنى فى هذه الفرقة الجديدة . هل صرف عليها بعض المال حقا ؟

بيلى : صرف عليها بعض المال !! لا تثيرى فى الضحك . انه مفلس . كله بالاستدانة . بالاستدانة من فضلك . انه ليدهشنى كيف يحصل على المال بعد هذه العملية الأخيرة . ومع هذا فانه يستطيع أن يتكلم على الدوام ، أبوك هذا . وهذا كل ما فى الأمر . أتعلمين اننى أنفقت آلاف الجنيهات فى سبيل تعليمه . ألحقته بنفس المدرسة التى كنت فيها . وأخوه.

آلاف الجنيهات لم يكن من أولئك الذين أحرزوا منحة دراسية مثلك . وأين أوصلهم هذا ؟ (يتناول جرعة) هذا الروكليف . يجب أن يغلقوا هذا المحل . يجب أن يكتب أحدهم

الى مجلس المدينة عنه . يدهشنى أن أحدا لم يفعل هذا . يوجد هنا كثير من السادة كما تعلمين . بجانب الأوشاب الذين هنا . أناس من المتقاعدين . انهم لا يريدون استمرار مثل هذا الشيء . هل أنت بخير ؟ ان منظرك يوحى بأنك سهرت ليالى طوالا أو شيئا كهذا . ماذا كنت تفعلين بنفسك ؟ كثير من تلك الحفلات ، آه ؟

جين : لا ، ليس كذلك فى الواقع .

بيلى : على أى حال يجب أن تستمتعى بوقت طيب فترة شبابك . فأنت لا تستطيعين ذلك فيما بعد . أراهن أنه لن يعود حتى آخر هذا الليل .

جين : أبى ؟

بيلى : انى مسرور جدا برؤيتك ياچين . هل أنت بخير؟ هل تلقين منهم معاملة طيبة ؟

جين : أوه ، نعم .

بيلى : أرجو أن يكونوا راضين عنك . ليست لديك أية متاعب

جين : لا يا جدى ، ليست لدى أى متاعب .

بيـلى : كل ما فى الأمر أننى مستغرب مجيئك لرؤيتنا فجأة هكذا .

جين : أوه ، انه مجرد ...

بيلى : أنا لا أطلب منك أن تخبرينى . لك أن تفعلى ما تشائين يا حبيبتى . أشك فى أنك جائعة ، أليس كذلك ؟

جين : لقد أكلت فى القطار .

بيلى : ما كان ينبغى لك أن تفعلى هذا . انه اسراف ، وكل ما يقدمونه لك شىء من النفايات . انك لست مسرفة ، أليس كذلك ؟

جين : لا أظن هذا .

بيلى : لا ، لم أظن هذا . انك فتاة طيبة ياچين . انك ستشقين طريقك . أنا أعرف أنك ستشقين طريقك . انك لست كهذه المجموعة التى فى هذا البيت . ستفعلين شيئا ما لنفسك . انك تقتدين بجدك العجوز .

(تبتسم له باعزاز) .

أليس كذلك ؟ چين ، اذا صادفك أى نوع من

المتاعب فانك ستجيئين الى فى الحال ، أليس كذلك ؟

جين : سأفعل هذا .

بيلى : انى أعنى ما أقول . والآن انظرى ... لا يوجد هنا غيرنا نحن الاثنين . عدينى بأنك ستحضرين وتخبرينى .

جين : بالطبع سأفعل هذا . ولكن لاشىء هناك ...

بيلى : اننى لا أهذر ، بل أنا جاد . ستعود فويبا فى أى لحظة ، وأنا لاأريدها أن تعرف . أريد أن تعدينى .

جين : أعدك . اذا طرأ أى شىء ....

بيلى : اذا كان الأمر أمر نقود ، فاعلمى ...

جين : أقول لك انى ...

بيلى : عندى بضعة جنيهات فى صندوق توفير البريد، ليكن فى علمك أنها ليست كثيرة ، ولكن عندى بضعة جنيهات . ما من أحد يعرف هذا ، ولذا فلا كلمة ، احذرى .

جين : وهو كذلك .

بيـــلى : حتى ولا ســـكان البنسيون ، فأنا لا أطلعهم على أحوالى . ولكن كما قلت ...

جـــين : جدى ، انى أعدك . اذا احتجت الى أى شىء ...

بيـــلى : لعلهم لا يدفعون لك الكثير فى عملك ، أليس كذلك ؟ أخبريهـــم ماذا تســـتحقين ، انهـــم لصوص .

جـــين : انهم يدفعون الكفاية .

بيـــلى : كم كانت نفقات سفرك الى هنا ؟

(يبدو أنه قد شطح قليلا) .

جـــين : لا يا جدى أرجوك ... أنا لا أريدها .

بيـــلى : كفى عن هذا الجدل اللعين . ما دمت أريد أن أعطيهـــا لك فستأخذينهـــا . انتظرى دقيقـــة واحدة ...

جـــين : أرجوك ...

بيـــلى : ما هى المسألة ؟ أهى دون الكفاية ؟

جـــين : ليست هذه هى المسألة ...

بيـــلى : ماذا اذن . افعلى ما يقال لك وخذيهـــا . أنا ما كنت لأجرؤ على مجادلة جدى ، حتى وأنا فى

مثل سنك (يعد نقوده) أوه ... حسنا ، يبدو أنه ليس معى ما يكفى الآن . كم عددها ؟

جين : لا أذكر .

بيلى : بل تتذكرين بالطبع . انظرى ، هاك قليلا من النقود ، خذيه الآن خصما منها ، وفى يوم الاثنين سأذهب الى مكتب البريد وأسحبها لك.

جين : يا حبيبى ، انك ستحتاج هذا اليوم عطلة الأسبوع ، هناك السجاير والصحف ، فضلا عن أنك ستأخذنى الى النادى . ألا تذكر ؟

بيلى : أوه نعم ، لقد نسيت هذا . اذن فلنعتبره قرضا. هل توافقين ؟

جين : قرض ؟

بيلى : نعم قرض . أنت تعرفين ما هو القرض .

جين : أوه ، وهو كذلك .

بيلى : يجب ألا تشعرى بالاحتياج . كلنا محتاجون للرعاية ، وعليك أن ترعى أهلك الأقربين . فلا فائدة فى أن تتركى هذا الأمر للحكومة فتكله الى فئة من مصاصى الدماء الذين ليس

لديهم المقدرة على فعــل شيء لأنفسهم . أنا
أريد أن أبسط رعايتى عليك ياچين . أريد ...
أريد حقا . فأنت فتـــاة طيبـــة وأنا أعلم أنك
ستصنعين شيئا من حياتك ، ستكونين انسانا
مرموقا ، لن تضيعى حيـــاتك عبثـــا وتكونى
حمقاء .

جـــين : بارك الله فيك .

بيـــلى : لا تضيعيها عبثا ، اصنعى منهـــا شـــيئا طيبا .
لا تضيعيهـــا . اجلسى بالله . ان منظرك يوحى
بأنك موشكة على أن تأخذى قبعتك ومعطفك
وتنصرفى . اجلسى وتحدثى الى جدك . قليلا
ما أجد الفرصة للتحدث مع أحد . انهم يظنون
بك بعض الخبـــل لمجرد أنك تستطيعين تذكر
الأشياء عندما كانت تختلف قليلا عما هى عليه .
هيا ، خذى كأسا .

جـــين : أشـــكرك .

بيـــلى : خذى مثلا فتاة البار التى فى الكامبردج . أنا
لاأذهب الى هناك كثيرا . لقد رأيتها تضحك وتخفى
ضحكها ، وهى تحسبنى لم أرها ، ولكنى لست
مخبولا ، كما أنها قطعة من البضاعة العادية .

ثديان كبيران يبرزان من هنـــا ، كما لو كان المقصود أن تريهما عند ما تميلين نحو كأسك ، الأمر الذى يكفى لأن يمحـــو أثر البـــيرة من رأسك . ثم انها تنتقص مقدار الكـــأس . ان عليك أن تراقبيهم ، فهم يظنون أنهم يستطيعون اللعب عليك .

جـــين : متى تنتهى الحفلة الثانية ؟

بيـــلى : لا أعلم . حوالى الحادية عشرة على ما أظن . ستسهرين الليل بطوله اذا انتظرته . ما كانوا ليستخدموا واحدة من هـــذا النوع فى الأيام المـــاضية ، واحدة كالبغى الرخيصة .

جـــين : لعل يجب أن أذهب لمقابلته .

بيـــلى : افعلى ما شئت يا ابنتى . أما أنا فلا ، لقـــد وضعوا جهاز تليفزيون فى ذلك البـــار الآن . تليفزيون . من تظنه يريد جهـــاز تليفزيون فى حانة ، لا يكاد صوته يدوى حتى تعجزى عن سماع أفكارك . هل تعلمين ؟ هل تعلمين انى طلبت منهم أن يقفلوه ذات ليلة . هذه البقرة ذات الثديين ، من المتوقع أن تكون وقحـــة ، ولكننى وقتئذ طابت من صاحب المحل ، تشارلى

روز . انه صديقي . أعرفه منذ سنوات . ومع هـذا أتعلمين انه رفض أن يستجيب لطلبى . لست أدرى ما الذى جرى لكل الناس . لست أدرى . هل تعلمين ؟

جـين : (غير مصغية) لا ياجدى ، لست أعلم .

بيـلى : ان هذا لما يحزن ... أحيـانا . تشارلى روز العجوز دون سائر الناس . منذ ذلك الحين لم أستطع دخول ذلك المكان . لقد أحضرت هذه البـيرة فى غير فترة الترخيص وأنا فى طريقى (ينظر اليها بخبث) أظن أنه لا يحق لك أن تتوقعى من النـاس أن يصغوا اليك ما دمت تتحدثين عن حياتك التى ولت وانقضت ، لقد انتهى الأمر بالنسبة اليك فلماذا يتعين على أى انسان أن يصغى اليك ؟ (سكتة) هل شربت شـيئا ؟

جـين : نعم .

بيـلى : أعرف المرأة دائما عندما تكون شاربة .

جـين : أنا آسـفة .

بيـلى : لا بأس يابنيتى . انى لأظنك تعلمين ماتصنعين ،

يجب أن أرفــع قدميــك وأغمض عينيــك ، وستشعرين بتحسن بعد دقيقة .

جـين : لقد شربت أربع كاسات من الجن . أربع كاسات كبيرة من الجن . سأكون على ما يرام . ماحال العمل ؟

بيـلى : فى المسرح ؟ لا علم عندى . ولا أسأل . ولكنى أراهن أن فى صالون بار كمبردج من النــاس أكثر مما عنده هناك . أنا أعرف بماذا تحسين أيتها الفتاة . عليك أن تسترخى .

جـين : أنا أحب الاستماع اليك . وهكذا كنت دائما .

بيـلى : نعم ، لقد كنت تحبين دائما أن تأتى لرؤيتى ، أليس كذلك ؟ وكنت تستمتعين فى صــحبتى عندما كنت صبية . كنت شيئا جميلا صغيرا ؛ بغدائرك السود وملابسك الصغيرة . (بسرعة) ليس معنى هذا أن المنظر هو كل شىء ، حتى بالنسبة للمرأة . لا تصدقى هذا ، انك لاتنظرين الى زينة رف المدفأة وأنت تقلبين النار .

(جين تجلس وتتكىء الى الوراء) .

لا ، سأقول هــذا لآرشي ... لقد حرص دائما

على العنـــاية بجمـــال مظهرك ، وكنت تلوحين كالصورة الصغيرة على الدوام ، بل أقول انه أنفق الكثير . لقد كان صبيا أنيقا هو نفسه . كنت ألبسهم ملابس البحارة اذ ذاك . لقد كان صبيا جميلا . عجيب كيف يتبدلون جميعـــا . (سكتة ثم برقة واخلاص) انى لأشعر بالحزن من أجلكم أيها الناس . فأنتم لا تعرفون حقيقة الحياة . انكم لم تعيشوا معظمكم ، ولم تعرفوا أبدا ما هى الحياة ، الحق أنكم تعساء جميعا ، لا تعرفون كيف يمكن أن تكون الحياة .

(الأضواء تتلاشى — ينزل ستار خلفى معلق) .

(٢)

ستار أمامى — المسرح مظلم — الضوء الكاشف مسلط على الزاوية المناســـبة .
تعزف الموسيقى — يدخل آرشى رايس .

آرشى : مساء الخير سيداتى وســـادتى . اسمى آرشى رايس . حبيب مسز رايس . ســـوف نقـــوم بتسليتكم خـــلال فترة الســـاعتين والنصـــف القادمة ، ولقد بدأتم فى هـــذا بالفعل . فقـــد

أغلقت كل أبواب الخروج . وبمناسبة الكلام عن اغلاق أبواب الخروج فان بعض النـاس يجب أن تقفـل عليهم أبواب السجون . أن يسجنوا . هـذا صحيح بشرفى . سأعطيكم حالة من هذا النوع . حالة من هـذا النوع . زوجتى ... زوجتى . تشارلى العجوز يعرفها . أليس كذلك يا تشـارلى ؟ تشـارلى العجوز يعرفها . انها عملية حقيقية لأى مقاول لاصلاح الطرق ، أليس كذلك يا تشارلى ؟ لا بأس . لقد أخذت حفارته منه الآن . أخذتها . أليس كذلك يا تشـارلى . انه الرجـل السوبرانو الوحيد فى اتحاد الموسيقيين . أنا أعرف ماذا تنتظرون . أنا اعرف ماتنتظرون ومن ذا الذى لا يعرف . وانما عليكم أن ترفعوا فؤوسكم ... فسوف تهوى فى ظرف دقيقة . عليكم أن تنتهوا منى أولا . والآن ... الآن ...

لكى نفتتح العرض سأغنى أغنية صغيرة كتبتها بنفس أرجو أن تعجبكم .

لمـاذا أحمـل الهم ؟
لمـاذا أتركه يسـنى
لمـاذا لا أجلس وأحاول

أن أجعله يمر من فوقى ؟
لمــاذا أتركه يرهقنى ؟
لمــاذا يشخصون الى بأبصارهم ،
ما فائدة اليأس ،
اذا كانوا يسمونك أمينا عادلا ؟
انك اذن ميت منذ زمن طويل
مثل صديقى فريد .
واذن فلماذا ، أوه لماذا أعنى بحمل الهم ؟

(يرقص رقصه المعتــاد) .

لمــاذا أحمل الهم ؟
لمــاذا أتركه يمســنى
لمــاذا لا أجلس وأحاول
أن أجعله يمر من فوقى
لمــاذا يشخصون الى بأبصارهم
لمــاذا أتركه يصرعــنى ؟
ما فائدة اليأس
اذا كانوا يسمونك أمينا عادلا ؟
انهم لو رأوك محزونا لسخروا منك
واذن فلماذا أعنى بحمل الهم
(الحمد لله أنا شخص طبيعى)
واذن فلماذا أعنى بحمل الهم ؟

(يخرج) .

(تتلاشى الموسيقى . يرتفع الستار الخلفى عن بيلى وجين وفوبيا . فوبيا فى حوالى الستين ذات شعر أشقر كان جذابا فى زمانه وما زالت تبذل له عناية كبيرة . وجهها معالج بالأصباغ ولكن فى غير حذق . لا تستقر أبدا ولا تصغى أبدا — شأنها شأن معظم أفراد هذا البيت . اما اذا اضطرت للجلوس والاصغاء لأى انسان فانها عادة تصير شاردة اللب متضايقة ، جالسة على حافة كرسيها ، تتلوى أصابعها حول شعرها . والآن نراها محمرة الوجه كطفل متأهب للانفعال) .

فوبيا : أوه ، لكم سيكون سعيدا برؤيتك . (لبيلى) أليس كذلك ؟ ولكن لماذا لم تخبرينا حتى أعد لك شيئا أواثقة أنت من أنك لا تحتاجين لشىء عندى قطعة من لحم الخنزير ... اشتريتها هذا الصباح . ألا تحبين شيئا منها ؟

جين : لا . شكرا ياعزيزتى . لقد قلت لك اننى جئت عفو الساعة .

فوبيا : صحيح . . . قلت لى هذا . وكذلك ذكرت فى خطابك شيئا عن سفر فى عطلة

الأسبوع . هل وقع ما لم يكن فى الحسبان ؟

جين : غيرت رأيى .

فوبيا : أوه ، حسنا . انه لجميل أن نراك . أليس كذلك يا بابا ؟ انه مسرور . قلما يجد من يحادثه . أليس كذلك ؟ أقول أنك قلما تجد أى فرصة للحديث . انه ينفرد هنا أغلب الوقت. وليس هذا ذنبى . انه لا يجب أن يصحبنى الى السينما . ولكن ينبغى للانسان أن يذهب الى مكان ما ، هذا ما أقوله له . فالانسان يتصلب ضيقا بالجلوس فى البيت . انه يحب أن يسمع تمثيلية من الراديو فى بعض الأحيان . قد تحبين التمثيلية الجيدة ، ولكنى لا أستطيع الجلوس طويلا بل أفضل شيئا من السينما .

بيلى : أنا لا أشكو شيئا .

فوبيا : على أى حال فالسينما نوع من الجلوس أيضا ولكن الأمر يختلف ، أليس كذلك ؟ فلنفتح هذه (تشير الى الزجاجة التى على المنضدة) ما كان ينبغى أن تشترى الجن . انها شقية .

أليس كذلك ؟

بيلى : كان يجب أن تكون أكثر تعقلا ... انهـا تبذر نقودهـا .

فوبيا : لا بأس ... انها كبيرة القلب ، هذا هو الشيء الأهم . ناولينى قدحين ، ستأخذين واحدا معى، أليس كذلك ؟ أنا لا أريد أن أشرب وحدى .

جين : وهو كذلك . قدح صغير .

فوبيا : أوه ، آسـفة يا بابا ، أتريد كأسا ؟

بيلى : لا ، أشكرك .

فوبيا : أوه ، انه لذيذ . يا للخجـل ... كان المفروض أن أعود الى البيت قبل الآن ولكنى بقيت لأرى جزءا من الفيلم الكبير مرة أخرى .

بيلى : أنا أعقل من أن أبالغ فى هذا

جين : كيف كان الفيلم ؟

فوبيا : الفيلم ؟ أوه ، لم يكن كبير الأهميـة . ولكن كان فيه الشخص اللطيف ، ما اسـمه ؟ أوه ، انه يغنى أحيانا ، ذو عينين غائرتين سوداوين . لعلك تعرفين من الذى أقصده .

جـين : هل هو أمريكى أم بريطانى ؟

فوييـا : أوه ، لست أدرى . أمريكى على ما أظن .

جـين : ما اسم الفيلم ؟

فوييـا : (تضحك) ويحى . ينبغى أن تكونى أعقل من أن تسألينى هـذا السؤال . أنت تعرفين مبلغ ضـعف ذاكرتى . هيـا . فى صحتك (تشرب أووه ، انهـا لرشفة لذيذة من الچن .... بعض الخمر التى يقدمونهـا لك الآن ... لهـا طعم العطور الرخيصة . يجب أن تسمعيه وهو يتكلم عن البيرة . لا . انهم يعرضون كثيرا من الأفلام التافهـة فى دور السينما هـذه الأيام . لم أر فيلما واحدا جيدا منذ أجيال . يظهر أن لا شىء فيها سوى العصابات أو الغناء ، اما هذا واما أفلام رعاة البقر . انه لا يهتم بهاكثيرا ، ولكننى لا أستطيع أن أحتمل هـذا السيل من اطلاق الرصاص ، انه يسبب لى الصداع ، ومع هذا فانى شنيعة ... اذا لم أجد شيئا آخر معروضا فانى أذهب كالعادة ، أليس كذلك ؟ حتى ولو الى الدار التى يعشش فيهـا البق التى عـلى الناصية ، حيث اشـترى لنفسى حلوى بستة

بنسات وأقضى ساعتين بصرف النظر عما هـو معروض . وعلى فكرة ، سمعت انهم سيغلقون هذا المحل . لقد ساءت الأحوال كلهـا ، هـذا ما أقوله لآرشى . بالطبع انه قلق لأن حالة العمل سيئة . وهذا هو الواقع . ان الناس ليس لديهم نقود ، أليس كذلك ؟ أنا فى محـل وولويرث الآن ، هل أخبرتك . أعمـل فى قسم الأدوات الكهربية . لا بأس بالعمل . كل ما فى الأمـر أن البنات عاديات بعض الشىء . أوه انه لجميل أن أراك . سيكون آرشى مسرورا جدا . انها ممتقعة اللون ، ألا تظن هذا ؟ أترى انها تبدو ممتقعة قليلا ؟

بيـلى : انها تبدو على ما يرام .

فوبيـا : لا أظن أنها تتغذى كما ينبغى . أنت تعلم شأن هؤلاء الشابات . انهن شـديدات الاهتمـام بقوامهن . اذن فأنت لم تسافرى لقضـاء عطلة الأسبوع آخر الأمر ؟

جـين : لا .

فوبيـا : جراهام بخير ، أليس كذلك ؟

جين : نعم أنه بخير .

فوبيا : لم يحدث ما يعكر الصفو ... هل حدث ؟

بيلى : لماذا لا تعنين بشئونك اللعينة ؟ انها ستقول لك لو أرادت .

فوبيا : هو ذاك ، أنا أعلم هذا . لن يضيرها أن تخبرنى لو أن هناك شيئا ، أليس كذلك ؟

جين : وقع خلاف بسيط ، لا شىء أكثر من هـذا . هذا كل ما فى الأمر .

فوبيا : حقا انها ليست ابنتى ، غير أننى عاونت قليلا فى تربيتها ، أليس كذلك ؟ انها ابنة آرشى . وقد يبدوغريبا بعض الشىء أن لا أهتم بكونها سعيدة أو لا . أوه ، على كل حال ياعزيزتى لاتهتمى أبدا ، سوف تصلحين الأمر حالا . ان الرجال مخلوقات عجيبة . لست فى حاجة لأن تهتمى بهم أبدا .

جين : (مبتسمة) أتمنى ذلك . هذا حق. خذى كأسا آخر.

فوبيا : سوف تشعرين بالتحسن حالا. ما الذى تشاجرتما بسببه ؟ أراهن على أنه شىء سخيف. هل فسختما الخطبة ؟

جـين : لست أدرى . يجوز .

فوبيـا : أوه يا عزيزتى . انى لآسفة .

جـين : لقد ذهبتُ الى رالى فى ميـدان ترافلجار يوم الأحد المـاضى .

بيـلى : ماذا فعلتِ ؟ !

جـين : ذهبتُ الى رالى فى ميدان ترافلجار .

بيـلى : لمـاذا بالله ؟

جـين : لأننى ، يا جدى ، بطريقـة ما — ومع كثيرين غيرى ، مع ماقد يبدو فىهذا منغرابة — أردت أن آخذ لنفسى فكرة عن الطريقة التى تجرى بها الأمور .

بيـلى : فذهبتِ الى ميدان ترافلجار ؟ !

فوبيـا : لقد قالت هذا ، أليس كذلك ؟

بيـلى : اذن فأظن أن رأسك اللعين فى حاجة الى فحص ؟

جـين : كان هـذا بالتقريب رأى جراهام . وكل ما فى

الأمر أنه يصغركَ بنحو خمسين سنة فعبر عن
رأيه بطريقة مختلفة بعض الشيء . والواقع أن
المسألة كلها بدأت حـول شيء ما أردتُ أن
أفعله ، واذ ذاك انهمر السيل ، أشياء كثيرة .
كل أنواع المرارة ... أشياء ما كنت لأعلم حتى
بوجودها .

بيـلى : لم أكن أعلم أنك تهتمين بالسياسة .

جـين : ولا أنا . لقدكنت أجد الأمركله باعثا على الملل.

بيـلى : يا رحمن يا رحيم . لقد رأيت غرائب فى حياتى .
هذه نتيجة اعطائهن حق التصويت اللعين . انهن
يبدأن فى فسـخ خطباتهن لمجرد انهن يصدقن
كل من هب ودب ممن يكتبون فى الصحف .

فوبيـا : أوه ، اسـكت ولو دقيقة واحـدة يا أبى .
(الى چين) هـل تشاجرتما بسبب شيء أردت
أن تفعليه ؟

جـين : نعم انها ... حكاية معقـدة . أظن اننى كتبت
اليك وأخبرتك بأننى كنت أدرّس الفن لعـدد
من فتيان نادى الشباب .

فوبيـا : أوه ، نعم ، كان هذا منذ مدة طويلة جدا .

جين : منذ سنة تقريبا . فقد عرفت شخصا كان يؤدى نفس العمل ــ وهو شاب يعرفه جراهام ، وقد ذكر لى أنه ضاق ذرعا به وأنه لا يستطيع الاستمرار فيه . وقال لى « انهم ثلة من المناجيس الصغار ، واذا كان هناك من يعتقد أن فى الاستطاعة تعليم هؤلاء الشياطين أن يخلقوا شيئا فهو مجنون . فما هم الا ثلة من المناجيس الصغار » . هذا ما قاله . غير أن شيئا ما ... جعلنى تواقة الى أن أجرب هذا العمل . لم يكن وراءه أى كسب ، مجرد بضعة شلنات لبضع ليال كل أسبوع ، ولكنه كان شيئا أعرف القليل عنه ، أو ظننت انى أعرفه ... لم أتقن التصوير بالألوان أبدا طول حياتى ، ولكن خيل لى أن هذا أمر أستطيع حقا أن أفعله . حتى ولو كان مجرد عراك مع حفنة من الفتية المتمردين . ولقد اعتقد رئيس النادى اننى مجنونة ، وكذلك جراهام .

فوبيا : لا أستطيع أن ألقى عليه اللوم حقا . انه لا يبدو عملا طيبا من أى وجهة ــ خصوصا لفتاة شابة مثلك يا جين . يلوح لى أنهم عصابة فاجرة حقا .

جــين : لقد كانوا كذلك . بل كانوا أفجر مما يطيق أى واحد من الشبان الذين تعهّدوهم من قبل .

فوبيــا : اذا كانوا لا يريدون أن يتعلموا فلماذا يذهبون بحق السماء ؟

جــين : كانت دراسة اجبارية ، فاذا حضروا درسا من دروسى كل أسبوع كان لهــم أن يشتركوا فى وجــوه النشاط الأخرى بالنادى ... كالرقص وما اليه . لقد صارعت هؤلاء الفتيان ، وكان طول بعضهم ثمانى أقدام ، ولقــد كرهت ذلك معظم الوقت ، وكرهتهــم . كنت أزعم لنفسى انى لا أكرههم ولكنى كرهتهم . كنت أكرههم ولكنى حسبت نفسى بالغة شــيئا ما . والآن يريد جراهام الزواج منى ، الآن قبل أن يحصل على اجازته الدراســية ، ولكنى رفضت . انه لا يريدنى أن أعمل شيئا لنفسى . لا يريدنى أن أهدده أو أهدد دنياه ، لا يريدنى أن أنجح . ولذا فقد رفضته . وعند هذا توالت المسائل ... ميدان ترافلجار وغيره . وكما تعلمين لم يسبق لى أن تحققت ، بل لم يخطــر على بالى قط ، انك تستطيعين أن تحبى انسانا ما ، وأن تريديه ،

وتريديه أربعة وعشرين ساعة كل يوم ، ثم تكتشفين فجأة أن لا واحد منكما يعيش حتى فى دنيا الآخر. أنا لا أفهم هذا . أنا لا أفهمه وكفى. بودى أن أستطيع فهمه . انه مفزع . آسفة يافوبيا ، ما كان من حقى أن أشرب من هذا « الچن » فقد اشتريته خصيصا لك .

بيلى : الحق أننا لانحتاج الاالى بضع حمامات هنا لنقلب هذا المكان الى ميدان ترفلجار . لم أر فى حياتى مثل هذا المكان اللعين المعرض لتيارات الهواء . كل من هنا يترك الشبابيك والأبواب مفتحة . لا أعتقد أن هذا مناسب للصحة . أقول لكم انكم تدخلون من باب فيقذف بكم الى الباب الآخر .

جين : كيف حال ميك الصغير ، هل وصلتكم أخبار منه ؟

فوبيا : أوه ، نعم بالطبع . لقد رحّلوه هناك ، وعلمت هذا ، ألم تعلمى ؟

جين : نعم ، علمت .

فوبيا : ان آرشى قلق عليه . انه لا يصرح بهذا ولكنى

أعرف أنه قلق . ان الأمر عجيب حقا لأنه يبدو أنهما لم يكونا على اتفاق قط فى كثير من النواحى ، لا كما فعلت انت أو هو أو فرانك . انه ولد عاقل جدا ، ميك الصغير . مستقيم جداً. أستطيع أن أقول لك ان النوم جفانى طويلا هذا الأسبوع .

بيلى : انه ولد طيب . عندما استدعوه ، ذهب دون جدال ولم يقل شيئا . ذهب بكل بساطة .

جين : (فجأة) وعندما استدعوا فرانك رفض ، ودخل السجن من أجل ذلك ... ستة شهور . فرانك الصغير المملوء بالشكوك فى نفسه وفى كل الناس ، المريض بالبرد فى رأسه نصف العام ، ضعيف الصدر . كان محظوظا اذ نجح فى الصف الثالث . مسكين فرانك (لفوبيا) انه ليس مكتمل القوة كما كنت تقولين على الدوام. كنت تخرجين لتشترى له بعض الحلوى ليأكلها، بل انك ما كنت لتتركيه ينظف حذاءه بنفسه ، لا ، لقد كنت تنظفينه له . ولكنه ذهب وقال لا ، والأدهى أنه عوقب بالسجن من أجل ذلك. أوه ، لقد استسلم فى النهاية ، ولكنه قال

لا فخسر ستة شهور من حياته المعتلة المحوطة بالرعاية ... لقد قال لا . وانى لأرى شيئا ما فى هذا . فانتَ لا ينبغى لك أن تقارن ميك الصغير نفرانك يا جـدى . والآن لِمَ يبـدو عليكما التأذى ؟ لست أهاجمكما . انى لأحب كليكما حبا جما ، ولكن لعله لم يكن ينبغى لى أن أبدأ فى شرب الچن وأنا فى القطار .

(سـكوت) .

فوبيـا : حسنا ، فلنقفل هذا الموضوع الآن .

بيـلى : لم أقل الا أن ميك كان ولدا طيبا .

جـين : وهو كذلك . انه ولد طيب جـدا . انه شاب شجاع فى التاسعة عشرة من العمر يحارب من أجلنا جميعا ، لم يتعود أبدا بطريقة ما أن يقول لا ، ولم يرد أبدا أن يقولها ، وانى لأرجو من الله أن يعود سالمـا .

فوبيـا : أوه يا عزيزتى چين ، تعتقـدين أنه سـيكون بخـير ، أليس كـذلك ؟ لست أدرى لمـاذا يرسلون هؤلاء الصبية الى الخـارج ليحملوا عبء القتال . انهم ليسوا الا صبية صغارا ،

هذا كل ما فى الأمر . وليس هو الا صبيا صغيراً.

بيـلى : انك لا تستطيعين التمرد على قومـك يا چين . لا تستطيعين أن تفعلى ذلك .

جـين : أين فرانك ؟ قَوْمى ... ومن هم قَوْمى ؟

فوبيـا : انه يعزف على البيانو فى أحـد تلك المشارب التى تعمل حتى أواخر الليل . انه لا يكاد يعرف ماذا يصنع بنفسه منذ أن خرج من ذلك المكان، من ذلك السجن اللعين . لن أنسى هذا ما حييت. أن يجعـلوه يدخـل السجن . لن أنسى ذلك ما حييت . لن أستطيع أبدا .

جـين : على أى حال لقد انتهى الأمر الآن . اليك كأسا آخر من الچن . لقد اشتريته لك .

فوبيـا : لا أريد . ثم حمـله على ذلك العمـل الذى لا ينبغى لغـلام مثله . حمّـال فى مستشفى . أتعلمين انهم شغلوه وقّادا للغلايات ؟

جـين : نعم . لعـله كان أحسن حالا فى الجيش ... يتدرب على الطعن بالسونكى .

فوبيـا : أنه لم يقل لى كلمة واحدة عن ذلك . كنت أتمنى ألا يفعل هذا على أى حال . وانى لأتساءل هل

يكون ميك أحسن حالا آخر الأمر . أعنى أنهم يرعونهم بالفعل ... أليس كذلك ؟

جين : أوه نعم . انهم يرعونهم كما ينبغى .

بيلى : يرعونهم الآن خيرا مما كانوا يفعلون أيام كنت هناك . لم أقرأ صحيفة المساء بعد . موقعة الدردنيل . لقد خرجت منها بدون خدش . بدون خدش أصابنى .

جين : انهم يبسطون رعايتهم علينا جميعا . نحن على ما يرام جميعنا . لا شىء يثير القلق نحن على ما يرام (تضغط على الكلمات) . حفظ الله الملكة .

(ظلام تام . يرفع الستار) .

(٤)

(ضوء كاشف على آرشى أمام الميكروفون) .

آرشى : لقد مثلت أمامهم جميعا . الملكة . ودوق أدنبره . والبرنس أوف ويلز . و ... ما اسم هذا الشاب الآخر عجبا ، كان هذا أحسن فى العرض الأول . (سكوت) لقد خلعت نظاراتى . لا أحب أن أراكم تتألمون . ما شأن هؤلاء النوّاحين ...

اه ؟ ما شــأن هؤلاء المغنــين ؟ لا أدرى علام نحن مقبلون . لا أدرى ... شرفا . انظروا الى القمامة التى يغنونها . انظروا الى الأغانى التى يغنونها : « رقصة أدعياء المدينــة المظلمة » . « رقصة نشارى الخشب » . « رقصــة شارع الحوض » ... انها أكوام من القمامة ، أليس كذلك ؟ . أراهن انكم ظننتمونى « نمــرة » سخيفة قبل أن أظهر ، أليس كذلك ؟ وماذا عن هؤلاء البنات ؟ (يشــير الى مؤخرة المسرح) ما القول فيهن ؟ ساحقات . أراهن انكم تظنون اننى أقضى وقتا طيبا هنا فوق المسرح مع كل هؤلاء الفتيــات المستعرضات ، أليس كذلك ؟ معكم حق . تظنون من مظهرى أننى جذاب جنسيا ، أليس كذلك ؟ لا يا سيدتى . مظهرى لا يدل على جاذبية جنسية ، أليس كذلك ؟ (سكوت) أسألوه (ويشير الى قائد الأوركسترا) أسألوه (يحملق فى النظارة) أتظنون بى هذا ، أليس كذلك ؟ تظنوننى كذلك ؟ أبدا ، لست كذلك . ولــكنه هو (يشــير مرة أخــرى الى قــائد الأوركسترا) انى أفضل زجاجة من البــيرة فى أى يوم .

والآن سأغنى لكم أغنيـبة صـغيرة ، أغنيـة
صغيرة ، أغنية صغيرة كتبتها أخت الزوجـة ،
أغنية صغيرة عنوانها «لن تدق أجراس الكنيسة
القديمة الليلة . » . شكرا لك يا تشارلى .

« نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحـد
فرقم واحـد هى الواحـد الأوحـد عنـدى
ياانجلترا العجوز الطيبة، أنت لى كقدح الشاى
ولكننى لا أريد مساواة باهتة .

لا تـدَّعوا مشاعركم تتوزع .

ولكن اذكروا ان الاحسان يبدأ داخل الوطن
لأن البريطانيين سيكونون أحرارا .

ان مشروع التأمين الصحى لن يجلب لكم الثراء
فهـذه الشعور المستعارة والنظارات اللامعـة
انما تباع لى ولكم .

والجيش والبحرية وسـلاح الطـيران
هى كل ما نحتاجه لحمل الهدامين على أن يروا
انه ما زال مِلْكا لـكم ذلك الأحمر والأبيض
والأزرق

(ينزل العلم البريطانى) .

وهذه القطع الحمراء التى ما زالت على الخريطة
لن نتخلى عنها دون قصاصة من الورق .
«ما لدينا مما بقى
سنحافظ عليه ونرفعك أيها العلم .
أوه ، فرقم واحد هى الواحد الأوحــد عندى
نحن جميعــا فداء للعجوز الطيبــة رقم واحد
نعم ، فرقم واحد هى الواحد الأوحــد عندى .
بارك الله فيكم !!
رقم واحد هى الواحد الأوحد عندى !
رقم واحد هى الواحد الأوحد عندى ! »

(يخــرج) .

(٥)

بيلى . فوبيا . چين

بيــلى : كن رشيقات ، وكان فيهن غموض ووقار . نعم فعنــد ما كانت المــرأة تخرج من العربة كانت تنزل . تنزل . وكنت تمدّين اليها يدك برشاقة لتساعديها على النزول . انظــرى اليهن الآن . أما رأيت أبدا امرأة تخرج من سيارة ؟ حسنا ، هــل رأيت ؟ لقــد رأيت أنا ، ولا أريد أن

أراها مرة أخرى ، أشكرك شكرا جزيلا . انى لم أر أبدا ساقى امـرأة حتى بلغت التاسـعة عشرة . لقد تزوجت وأنا فى التاسعة عشرة كما تعلمين . ولم أكن تجاوزت العشرين عندما ولد آخو آرشى . بيل الكبير . لقد سير أموره على أى حال . انى لا أذكر المرة الأولى التى وقعت عيناى فيها على جدتك . لم تكن قد تجاوزت الثامنة عشرة . كانت ترتدى معطفا من القطيفة، وكان أسود ، أسود بفراء على حافته ، وكانت هـذه هى « المـودة » فى ذلك الوقت . كان محبوكا على قامتها . وكانت وهى تلبس قبعـة الفرو الصغيرة والدثار أشبه ما تكون بالصور.

(آرشى يدخل مندفعا وبين ذراعيه كيس وزجاجات يضعها بسرعة . آرشى رايس يشرف على الخمسـين . شعـره مرجل يخالطه المشيب . يلبس نظارات وبه انحناء بسيط نتيجة نوع من ادعاء العلم انتحـله أصلا منذ ثلاثين سنة حين تخرج من احدى تلك المدارس العامة الصغرى فى لنـدن ، التى كانت تعمـل عادة على تخريج بعض مغامرى الطبقة الوسطى التافهين وكذلك مديرى البنوك والشعراء . والسيـدات يحببنه ويدللنه لأنه أليف جدا وتبدو عليـه

مظاهر السادة . وبعض زملائه من الفنانين يسمونه « الأستاذ » أحيانا ، كما يسمى نقيب الجيش المتقاعد « رائدا » ، وهو يبدى ابتسامة عطف نحو هذه البساطة ، حيث يعلم أنه لا ينتمى الى أى طبقة ويلعب دوره كما يحسنه ، وهو يبدى بعض العطف على أبيه ويكن له اعجابا عميقا . وهو عطوف على زوجته فوبيا التى يشفق عليها من كل قلبه ، وهذا هو ما منعه من تركها منذ عشرين سنة . أم أن هذا — كما يظن كثير من الناس — لأن الشجاعة تنقصه ؟ وعلى أى حال فانه لا يدارى علاقاته المتصلة بالنساء الأخريات — حقيقة أو خيالية ، فهى جزء من شفقته ومن عطفه ومن أسطورنه الشخصية . وهو يعطف على ابنه الأكبر فرانك الذى ليس على طرازه من التسامح والتصوف والشجاعة ، والذى يكن له حبا يكاد يكون غير حقيقى ولا مترجم . يقابل هذا أن عطفه على ابنته جين أكثر اقترانا بالحرص والمكر والشك . فهو يحذر ذكاءها لعلمه أنها قد نكون أقوى من بقيتهم . وما يقوله لأى انسان يلقى به على الدوام تقريبا فى عناية بالغة . أما ما يبدو عليه من شرود الذهن فهو من حيل الممثل الهزلى ، حيث يخلصه من أن يبدو عليه الاهتمام بأى شخص أو أى شىء) .

آرشى : نعم ، نعم ، عدنا الى سيقان النساء !! (للآخرين)

هذا ما يسميه شتيرن ركوب مهرك برأس متزن . أظنه كان شتيرن ، على أى حال ، أو لعله جورج روبى ؟ أوم ... هالو يا عزيزتى ، انه لشىء جميل (يقبل چين) ان نظاراتى ليست على عينى ، خيل لى أنك محصل ضريبة الدخل جالسا هناك بعد ما ظننت اننا اقتلعناه . هل انت بخير ؟

جين : شكرا لك . لقد شربت كمية كبيرة من الچن فى انتظارك .

آرشى : لا بأس ، يمكنك أن تشربى كأسا آخر منه بعد قليل . لم تحجزى مكانا فى فندق أو أى مكان محترم ، أليس كذلك ؟

جين : لا ، ولكن ....

آرشى : جميل جدا انى أنام وحدى الليلة ، فباطن ساقى يؤلمنى كالعادة . وبوسعك أنت وفوبيا أن تناما فى غرفتى وسأضطجع أنا على الأريكة . كنت أتحادث الآن مع صديقنا الملون على السلم .

فوبيا : أنه طالب .

آرشى : لا ، أنه ليس طالبا . بل راقص باليه .

فوبيـــا : (مندهشة) هل هذا صحيح ؟ (لچين) انه انسان ضخم .

آرشى : انه يرقص فى مسرح الحديقــة الشــتوية لمدة أســبوعين .

بيـــلى : راقص باليه !!

آرشى : لقد أخبرنى أنك لو أسقطت قبعتك هناك الآن فان عليك أن تدفعها برجلك نحو الممشى قبل أن تستطيع التقاطها

(يقف بسرعة ثم يستأنف الحديث عن خبرة) .

ليسوا جميعــا من الملونين . رأيت اثنين منهم فى الأوتوبيس فى طريق عودتى الى المنزل أمس، كانوا يتحادثون معا طول الوقت والكل يصغى اليهم . وبمجرد أن قمت لاضغط على الجرس صاحت امرأة ، « لقد فقدت ولدين فى الحرب من أجل أمثالكم » . فظننت لحظة أنها تقصدنى، ولهذا اســتدرت ، ولكنى وجدتهــا تضربهم بمظلتها وكأنما جن جنونها .

بيـــلى : أنا لا أحب أن أرى رجلا يرقص كهذا .

آرشى : عملت مرة فى فرقة استعراضية بها راقصان من الذكور ، وحيثما ذهبنا ، وفى ليلة الاثنين من كل أسبوع ، اعتادت احدى النساء أن تشكو من انتفاخ سراويلهـا . حيثما ذهبنا ، كل ليلة اثنين . أنا واثق أنها كانت نفس المـرأة فى كل مرة ، وكنت أسميها « تابع القافلة » . والآن ماذا تتناول ؟ فلننظر ماذا عنـدنا (يفتش فى الحقيبة وفى جيوبه) .

بيـلى : هناك برقية لك .

فوبيـا : ألا تظن أنها تبدو شاحبة بعض الشىء ؟

آرشى : انها تبدو لى بخير . كل ما فى الأمر أنهـا فى حاجة الى كأس .

بيـلى : (وقد بدأ يتعب ويتململ) هناك برقية لك !!

آرشى : هل كنت فى المشرب أيها الفتى العجوز ؟

بيـلى : لا لم أكن ! كنت جالسا هنا أتحدث مع چين .

آرشى : يجب أن أذهب الى الفـراش اذا كنت تشعر بالتعب .

بيـلى : لست متعبا ... انى أستطيع أن أسـهر حتى تخرج فى أى يوم .

آرشى : (يتناول البرقية) كنتم تسقونه هذا الچن المريع . انه يتحدث كما لو كان كبيرا للسقاة فى زى الكهنوت . انه أحد دائنى . فلتنتظر (يرميها على المنضدة) لعلك تظن أنهم سيزدادون علما هذه المرة !! عندى بعض الچن كذلك ... وعندى ديبونيه مما تحبه فوبيا العجوز ، أليس كذلك يا عزيزتى . انها تعتقد انها تصير (لام ألف) عندما تشربه ، أليس كذلك ؟

فوبيا : انى أحبه ، يظهر أنه يناسبنى . أنا لا أستطيع ان أشرب الچن خالصا كما يستطيع هو . (لآرشى) علام كل هذا ؟ هل كانت ... هل كانت الأمور على ما يرام فى المسرح ؟

آرشى : لا ، لم تكن الأمور على ما يرام فى المسرح . فى ليلة الاثنين كان هناك ستون متسكعة بائسة ، والليلة كان هناك حوالى مائتى متسكعة بائسة . ولو أمكننا أن نفتتح العمل ليلة الاثنين فى وست هارتلپول فسيكون ذلك بالموافقة المقرونة بالتحفظ الشديد من نحو ثلاثين شخصا غاضبين . ولكنى لا أريد التفكير فى هذا الموضوع الليلة .

فوييـــا : أوه يا آرشى .

آرشى : هيا ، تناولى الديبونيه ياعزيزتى ، لا تصيرى عاطفية أبدا . چين ، هنا كأسك . بيلى ، اصحْ .

بيـــلى : أنا صـــاح .

آرشى : كف عن الصياح اذن . انك تبدو كواحــد من المعلنــين التجــاريين فى التليفزيون . هــاك كأسا لك .

بيـــلى : لا أريد كأسا قذرة .

آرشى : أنك تبدو كما لو كنت ستغنى ترنيمة .

بيـــلى : أنا تعبــان .

آرشى : هذا خير ... خذ كأسا واذهب الى فراشك .

بيـــلى : لم أقرأ صحيفة المساء حتى الآن .

آرشى : لا بأس ، اذا كنت قد ربحت الجائزة الكبرى فسنقرأ عن ذلك فى الصباح .

بيـــلى : أنا لا أريد أن أبقى هنـــا وأركد حتى لو أردت أنت . أريد أن أعرف ماذا يجــرى فى الدنيــا .

آرشى : نعم ... الحق أنك حسن الاطلاع الى درجة مدهشة (للآخرين) أنه يعتبر قارئا ممتازا بالنسبة لمثل عجوز جاهل .

بيلى : لست ممثلا عجوزا جاهلا .

آرشى : بلى . انك لكذلك . والآن لا تجادل واشرب كأسك . انى أقيم احتفالا .

بيلى : احتفال !! ماذا لديك تحتفل به ؟

آرشى : عجبا .

بيلى : (يقف) ليس لديك شيء واحد تستطيع أن تعتبره ملكا لك . وبمثل ما أنا متأكد من أن الله خالق التفاح الصغير ، أراهن بجنيه لبنس انك ستنتهى الى قاضى التفليسات مرة أخرى قبل الكريستماس ، وستكون محظوظا اذا لم تدخل السجن كذلك .

فوبيا : خذه الى الفراش يا آرشى ، لقد غلبه التعب .

اذهب الى الفراش فقد غلبك التعب .

بيلى : لم يغلبنى التعب . أنا لا أحب فكرة وجود نزيل سجن آخر فى العائلة .

فوبيا : اهدأ يا أبى . لقد شربت فوق الكثير .

بيسلى : فى استطاعتى أن أشرب معكم حتى تفقدوا الوعى أجمعين .

آرشى : يا عجبا ، لقد بدأ يتحول الى متدين الآن .

بيسلى : انى كنت أتناول نصف زجاجة من البراندى ذى النجوم الثلاثة فى وجبة الافطار ...

آرشى : ورطلا من البفتيك وفتاتين من الكورس . سيحكى لكم القصة كلها فى لمح البصر .

بيسلى : (غاضبا) انى أترك فتيات الكورس لك أنت .

آرشى : لا شىء يعدل أن تقطع لنفسك شريحة جميلة من لحم الخنزير .

بيسلى : انى أفهم ما تعنيه .

آرشى : لا ياخذك الهياج يا أبى . انك ستوقظ البولنديين .

بيسلى : لا تحدثنى عن هذه الحفنة من القطط الملونة . كان فى استطاعة أى بريطانى على الدوام أن يقضى على نصف دستة من هذا الصنف . ولكن الأمر لا يبدو كذلك الآن .

آرشی : حسنا ، لا بأس . لا تفسد علينا المأدبة ...

بيلى : انى متكفل بنفسى ، وهو أكثر مما فعلت طول حياتك . وأحب أن أقول لك انى تلقيت العلم فى واحدة من أحسن المدارس فى انجلترا .

آرشى : لقد خرّجت قائدا عاما ذا ميول فاشية قوية ، وشاعرا كاثوليكيا فاشلا وآرشى رايس .

بيلى : هل تعرف ماذا قال عنى جيمس آجيت ؟

آرشى : آوه نعم ... قال انك ومسز بات كامبل كنتما خير من تقلدانه من النساء .

بيلى : انك تعلم جيدا ما قال .

(آرشى يعلم بطول التجربة الى أى حد يستطيع التمادى وهو يحاول بلطف أن يدير الموقف) .

آرشى : نحن نعلم جميعا ما قاله ، وكل كلمة منه كانت حقا .

(بيلى يحدق فيه ويتحسس نظارته) .

آرشى : حسنا ، كنت أقول قبل أن يقاطعنى أبى الجاهل العجوز ...

بيلى : ليس هناك ما يخجل فى أن تكون ممثلا

عجوزا . وهيهات أن تكونه أبدا ، انك لا تعرفه معنى هذه الكلمة .

آرشى : أوه اذهب الى فراشك يا أبى ... فقد بدأ الحمق يغلب عليك .

بيــلى : كان من المتعــين أن تكون ذا شــخصية لكى تستطيع أن تصبح ممثلا هزليا فى ذلك الوقت . كان لا بد أن تكون حقا انسانا له اعتباره .

آرشى : سبب هذا الاحتفال الصغير أن غدا ... أوه بل اليوم على الأصــح ... يوافق عندى الذكرى العشرين .

فوبيــا : الذكرى العشرين ؟ أى ذكرى ؟

آرشى : الذكرى العشرين لعــدم دفعى ضريبة الدخل . فآخر مرة دفعت فيهــا ضريبــة الدخل كانت فى سنة ١٩٣٦ .

بيــلى : سيمسكون بخناقك فى النهاية . سوف ترى .

آرشى : وهو كذلك يا حبيبى ، يمكنك أن تغنى لنــا ترنيمة بعد قليل . انى لأظن هذا انتصارا بالغ الدلالة وانى لأستحق نوعا من الجــائزة عليه .

(لچين) ألا تعتقدين أن أباك العجوز يستحق جائزة ؟

جـين : انى لأتساءل الآن كيف وصل بك الأمر الى أن تدفع ضريبة دخل فى سنة ١٩٣٦ .

آرشى : سوء الحظ . هذا كل ما هنالك . كنت حبيس المستشفى بسبب فتاق مزدوج ، وكان غاية فى السوء ومعقدا بشكل مريع حتى ظننت أن كل خططى للمستقبل ستنهار فى لحظة . على كل حال هذه مسألة أخرى سأرويها لك يوما ما . كنت هناك راقدا على ظهرى أتساءل هـل بيرة باص * وحدها تكفى لأن تجعل الحياة جـديرة بالبقاء ، واذا برجلين يرتديان القبعات المستديرة ومعاطف المطر ، ينقضان على من وراء الستار . وكانت هذه سقطة آرشى الوحيدة . كان يمكن أن تحصل لأى مخلوق . وأعتقد أن ممرضـة العنبر قد وشت بى ، فكثيرا ما قالت لى أنهـا متزمتة جدا ، ولذا أظنها فعلت ذلك . واذ ذاك خضعتُ للقـانون لحظـة ، وكنت أمثـل فى

---

* نوع من البيرة تصنعـه شركة باص وشركاه .

« قصة المدينتين » . فلما قلت لها ذلك قالت « أوه نعم سمعت عنها ... (الى بيلى) كانت سيدة ايرلندية . « قصة المدينتين » ... أليست هى عن سادوم وعاموره ؟ »

(جين تبتسم . بيلى وفوييا كفا عن الاصغاء) .

آرشى : احدى السيدات فى الصالة كان يبدو عليها الليلة أن الحفلة تروقها جدا .

فوييا : جين حدثت مشادة بينها وبين جراهام .

آرشى : صحيح ؟ أوه أنا آسف . كان يجب أن أسأل ، أليس كذلك ؟ انى آسف يا عزيزتى . أخشى أن تكون رأسى قد دارت (يتلفت حوله) أعتقد أننا جميعا كذلك . أتتم كذلك .

فوييا : لقد فسخت خطبتها .

آرشى : أفعلت ذلك حقا ؟ حسنا ، كان يجب أن أعتقد أن الخطبة شيء ريفى نوعا ما بالنسبة للمثقفين أمثالك . سيكون لك موتوسيكل وسايدكار فى المرة القادمة .

فوييا : أوه كف عن التفكه بها يا آرشى . كن عاقلا ، ألا ترى أنها مغمومة .

جـين : لست مغمومة ، ولم أتخذ بعـد قرارا فى أى شىء . وانما جئت لأراكم جميعـا وأرى كيف حالكم لأننى اشتقت اليكم .

فوييـا : أحقا . هذا جميل جـدا منك يا عزيزتى . انى أقدر هذا . أقدره حقا .

آرشى : انها تعلم أننى لا أتفكه بها .

فوييـا : أوه بودى أن أعلم ماذا سيحدث .

جـين : لا تهتمى بشأنى . ألم تأتكم أخبـار من ميك الصغير ؟

آرشى : لا ، ان صاحبنا ميك يستطيع أن يعنى بنفسه . انه ولد غير معقد ، هذا الانسان . أتوقع أنه يكون باذلا جهدا خارقا . أرجو ذلك على أى حال . ما الذى حدث بينك وبين جراهام ؟

بيـلى : لقد ذهبت ابنتك يوم الأحد المـاضى الى هذا السيرك الذى فى ميدان ترافلجار ، من فضلك .

آرشى : أوه ، أحقا ؟ أأنت واحـدة من أولئك الذين لا يحبون رئيس الوزراء ؟ أعتقد أننى أحببته جدا وذلك بعد أن سافر الى جزر الهند الغربية ليحمل نوويل كوارد على أن يكتب له مسرحية.

ومع هذا فلعل من هو من جيلى فقط يستطيع أن يفهم ذلك . هل يضايقك منه شيء ؟

فوبيــا : أوه ، يا الهى بودى لو أعرف ما الذى سيحدث لنـــا .

آرشى : عنـــدى نفس الشعور بالنســـبة لذلك الكلب المريع الذى تحت الســـلم . انه يخـــرجنى عن صوابى كلما نظرت اليه . هناك ثلاثة أشـــياء تحدث هذا لى : الراهبات والقسس والكلاب.

فوبيــا : أنا لا أحب أن يفرض على أن أعمل على الدوام . أعنى أنك محتاجـــة لقليل من الحياة قبـــل أن تنتهى كلها . انه ليذهب بكل بهجتها أن تعلمى أن عليـــك أن تعملى وتعملى حتى يحملوك الى القبر فى صندوق . ان هذا يناسبه هو ، فهـــو على ما يرام . مازالت عنده نســـاؤه ما دامت حياته باقية على أى وجه . ولكننى لا أريد أن أنتهى بأن يتولى دفنى غريب فى شارع قذر خانق صغير فى حى جينسهد أو وست هارتلپول أو غيرهما من جحور موتى الأحياء .

جـين : فويبا ، أرجوك ألا تدخلى الغم على نفسك ، فلنستمتع ....

فويبــا : استمتع ؟ أو تحسبين أنى لا أريد أن أستمتع ! غاية ما فى الأمر أننى سئمت هذه العيشة القلقة المضنية ، وسئمت الناس من أمثاله .

(تبــكى) .

آرشى : أتمنى ألا تبكى النساء . أتمنى هــذا . حاولى أن تقولى لها شيئا ياچين .

جـين : (ذاهبة الى فويبا) لمــاذا لاتستمتعين بحياتك ؟

فويبــا : كنت أتمنى أن أســتطيع . انمــا أتمنى أن أســتطيع .

جـين : (لفويبا) هيا يا عزيزتى . ألا تريدين الذهاب للفراش ؟

فويبــا : بلى ، أظن ذلك يا عزيزتى اذا ســمحت . أظن أننى تجاوزت حدى قليلا. آرشى يعرف طبيعتى. اننى لا أستطيع احتمال الكثــير من الاثارة ، وأعتقد أننى ربما أكون متأثرة جدا برؤيتك ، فقد كانت مفاجأة سارة جدا . أو لعلى قلقة من

أجـل ميك بطريقة لا شـعورية ، فانى دائمة التفكير فى كل هذا القتال ...

آرشى : عليك بالنـوم قليـلا يا حبيبتى وسـتشعرين بالتحسن عندما تقومين .

فوبيـا : (تقف) وهـو كذلك يا عزيزى ، سـأذهب فالساعـة مـتأخرة على كل حال . كان ينبغى لأبيـك أن يكون فى الفـراش منذ ساعات ، سيكون غدا فى حالة سيئة . أجعله يذهب الى الفراش يا آرشى ، أرجوك .

آرشى : وهو كذلك . (لجين) اصعدى معها .

فوبيـا : (متوقفة) هل سـتأتى لتحيينى تحيـة الليل يا آرشى ؟

آرشى : نعم ، غاية الأمر أننى سأنهى احتفالى الصغير . انه عيد ذكراى ، لا تنسى .

فوبيـا : (تبتسم) انه مضحك .

(تخرج هى وجين) .

آرشى : (لبيلى) أتريد كأسا قبل أن تذهب للنوم ؟

بيـلى : لا ، شكرا . فقد أخذت الكفاية .

آرثى : هيا أيها العجـوز المـاكر (يصب كأسا) انى أعرف وجهك ، هـذه هيئة الراغب فى التغنى بترنيمة .

بيـلى : أتظن أننى لا أريد ؟

آرثى : أنا واثق كل الثقة انك تريد . هيا بنـا نأخـذ كأسا منعشـا للقلب وبعـدها فلنشرب ما بقى لديك من البيرة ثم تأو الى فراشك .

بيـلى : وهو كذلك . سأغنى .

(يعتدل فى جلسته ويغنى) .

« الى الأمام أيها الجنود المسيحيون
السائرون وكأنما الى الحرب
وصليب اليسوع
سائر أمامكم
فيسوع السيد المملك
يحارب العـدو
أماما فى المعركة ... »

(تعود جين الى الحجرة ويشتد التعب ببيلى فينقطع عن الغناء ويتحرك نحـو حجـرته) .

بيــلى : ليلة سعيدة يا چين . لقد سرتنى رؤيتك .سيكون لنا حديث غدا .

جــين : نعم وستأخذنى الى النادى . تذكر .

بيــلى : ليلة سعيدة يا ولدى .

آرشى : ليلة سعيدة يا أبى .

(يخرج بيــلى) .

جــين : أبى ....

آرشى : نعم

جــين : انك تُسِرُّ شيئا فى نفسك .

آرشى : انك لا يفوتك شىء . أليس كذلك ؟ الملاحظة... هى أساس كل فن .

جــين : ما هو ؟ انى لأحس طــول هــذا اليوم بسقم غريب فى معدتى كما لو كان شىء ما سيحدث . أنت تعرف هذا الشعور .

آرشى : نعم أعرف هــذا الشعور . لقــد وقع ميك فى الأسر . ويبدو ألا أحد هنا يعلم بذلك . وقــد نشر ذلك فى الصحف ، ولم يكن هناك محــل للافضاء بالنبأ الليلة . وان غدا لقريب (يفتــح

البرقية) انهم يحصلون عادة على هذه الأشياء قبل الناس الذين يعنيهم الأمر حقا . لقد عرفت ماذا يمكن أن تكون هـذه (يناولها البرقيـة ويتناول الصحيفة) يبدو أنه صرع عددا كبيرا من الخنازير برصاصه ، أليس كذلك ؟ وهنـا صورة لصاحبك كذلك ، هـذا الذى يخرجك عن صوابك ، انه يبدو جادا هذه المرة ، لعله قلق على مصير ميك الصغير .

جين : أظن أننى سأتناول شيئا من هذا .

(يدفع كأسها نحوها) .

آرشى : حسنا ، ميك لا يجب أن نقطع احتفالنا . سنشرب نخب ميك ، ولنضرع الى الله أن يسلم . ميك ومحصل ضريبة الدخل . بالنسبة لك هم رؤساء الوزارات ، أما بالنسبة لى فهى الكلاب . الراهبات والقسس والكلاب . ألم أخبرك أبدا بأعظم تحية قدمتها لنفسى ، أعظم تحية اكتنزتها على الدوام ؟ كنت أسير على طول الجبهة فى مكان ما ــ يبدو كما لو كان هنا ــ وفى يوم ما ، أوه ، أظنه منـذ خمس وعشرين سنة ، كنت فى عز شبابى . نعم ، كنت أسير على طول الجبهة لأقابل ما أظن أننا كنا نسميه

شيئا من الفرقعة ، أو لعله كان شيئا من الزغب المتطاير . لا ، كان هـذا أولاً . على أى حال أذكر اننى استمتعت به فيما بعد . ولكن المهم أننى كنت أسير على طول الجبهة من تلقاء نفسى كلية ، غـير ملق بالا الى شىء (سـكوت) فأقبلت نحوى راهبتان (سكوت) راهبتان ...

(يقطع الحديث وقد بدأ عليـه التعب والشيخوخة . ينظـر الى جين ويدفـع الزجاجة نحوهـا) .

آرشى : كلمينى .

سـتار

نهـاية الفصل الأول

اسـتراحة

(٦)

بيلى وفوبيا وجين.فوبيا مختقنةالوجه من الشراب

بيـلى : أنا أعلم أنهـم لا يستطيعـون منعـه . انهـم لا يجرؤون .

فوبيـا : يعود الى البيت خلال يومين .... لا أستطيع أن أصدق هذا .

بيـلى : انهم لا يجرؤون ، حتى فى هذه الأيام ... انهم حفنة من المـاكرين . ما زلت أذكرهم من قبل الحرب . كنت فى تلك الفرقة المسرحية اذا كنت تذكرين يا فوبيا ...

فوبيـا : ما الذى يريدون أن يحتفظوا بولد كهـذا من أجله ؟ هـذا ما ظللت أسائل نفسى عنـه . انه لا ينفعهـم بأى شىء . لا ينفعهـم بأى شىء ، أليس كذلك ؟

بيـلى : حفنـة من الأوغـاد المتنطعين . كنت آنزل فى الامباسادور كما تعلمين ، وأعطونى صـندوقا من سيجار روميو وجولييت .

جين : (محوطـة بكوم من الصحف) حسنا ، لقـد اشتهر اسم رايس مرة أخرى .

بيـلى : كان طوله هكذا . لم أحصل على سـيجار مثله منذ سنين .

فوبيـا : انه يحب السيجار . أنا أشترى هـذه السجاير أحيانا . ليست الا شيئا رخيصا ، ولكن هـذا لا يهمه ، أليس كذلك ؟

بيــلى : بالطبع لا يهمنى . لقد أعطتنى چينى بعضا منها ، أليس كذلك . ماذا بك ؟

فوييــا : أوه ، نعم . لقد نسيت .

بيــلى : لك عقل كالغربال القذر !!

فوييــا : كنت مغفلة على الدوام فى المدرسة . اننى أفكر فى آرشى . لكم أخشى أن يخيب ظنــه ، وأن يســير كل شىء على غير ما يرام ، وانهــم لن يتركوا ميك يعود آخر الأمر .

بيــلى : لا تؤاخذينى يا فوييــا ، انك تتحــدثين بألعن تفاهة قضى على أن أجلس وأصغى اليها طول حياتى .

جــين : لقد أعطوا تعهدا رسميا .

بيــلى : تعهد رسمى ، آه يا ظهــرى ... لو حسبت أن مستقبل هذا الولد متوقف على تعهدهم الرسمى لاستطعنا أن نقول لهم « شكرا جزيلا وليلتكم سعيدة » .

فوييــا : (والصحيفة فى حجرها) لدينا طائرة محجوزة متأهبة للعودة به الى الوطن .

بيلى : «تعهد رسمي» ... ألفاظ السياسيين بالضبط... انها ماكانت لتعني شيئا لو صدرت من واحد منا.

جين : (تقرأ) « يعيدونه للوطن » ... فى خلال ساعات قليلة لا بد أن يكون الجاويش رايس طائرا نحو الوطن فى طائرة خاصة من طراز داكوتا .

بيلى : انهم يعلمون جيدا أنهم لا يجرؤون على فعل شيء غير هذا .

جين : سيكون لنا بطل من أنفسنا ، تستطيع أن ترى أن ....

بيلى : أى واحد منا كان سيفعل نفس الشيء . فليس فى أى واحد منا أى عيب ، ولم يكن فينا عيب أبدا . انكم لا تستطيعون بلوغ القمة جميعا ، ولا تستطيعون أن تصنعوا حظوظكم . أما أنا فكنت محظوظا على الدوام ، على الدوام . ولاحظوا أننى كنت طيبا أيضا . هذا السفير ، وكان اسمه سير كذا بيرسون ، لطيف ومن أحسن طراز على الاطلاق ، قال لى : اننى فنانه المفضل ، صارفا النظر عن جورج روبى .

فوبيا : أى خير يجنونه من التمسك بغلام . انه ليس الا غلاما .

جـين : هذه الصحيفة تقول ...

بيـلى : انه محظـوظ . كنت محظـوظا على الدوام ، ولاحظوا اننى كنت طيبا أيضا .

جـين : (تقرأ) « صرح الملازم بيرسون من لايسستر الذى كان مع الجاويش رايس قبـل وقوعه فى الأسر ببضع دقائق بأنه لا بد أن يكون قد قتل سبعة من المهاجمين على الأقل » .

بيـلى : قلت : ان اسمه بيرسون ...

جـين : وقال بيرسون « انه لا بد أن تكون ذخيرته قد نفدت قبل أن يحـاط به . لأن رايس الصغير ليس من الطراز الذى يستسلم » .

(سـكوت) .

فوبيـا : أنا لا أود أن أخيب أمل آرشى ، هذا كل ما فى الأمر وفوق كل شىء . لقـد لقى ما كفاه من خيبات وما أظنه سيعتاد عليها أبدا .

بيـلى : أنت ترين أنه بعد يومين اثنين سـيكون ميك جالسا هنا يحدثنا عن الأمر .

فوبيـا : أذكر أن أمى وعدتنـا مرة نحن الأطفـال أن

تأخذنا الى خيال الظل ، ولكن حدث شيء ما فلم تستطع أخذنا . لا أعرف ماذا كان ، ولعله لم يكن لديها نقود ، وكان دخول الصالة وقتها بستة بنسات . مسكينة أمي العجوزة ... لقد أخذتنا بعد ذلك ، ولكن لم يبد لي أنه نفس الشيء . فقد منيتُ بخيبة كبيرة ، وظللت أفكر فى خيال الظل طوال بضعة أسابيع . لا ينبغى لك أن تبنى فى الهواء فستصاب بالخيبة الحقة على الدوام . وهذا مصدر متاعب آرشى . انه دائما يبنى كل شيء فى الهواء . ولا يتحقق له شيء أبدا .

بيلى : انه أحمق .

فوبيا : انه أطيب مما ينبغى لهم ، وهذا أساس متاعبه . فالناس لا يقدرونك حق قدرك . فلنفرغ هذه ، أليس كذلك ؟ سيحضر آرشى بعضا منها عند عودته .

بيلى : لقد انتهى الأمر . قلت له منذ سنين ، ولكنه لا يسمع ، انه لا يصغى لأحد .

فوبيا : انك لا تستطيع أن تخطّ لآرشى طريقه . حقا ، كل ما يطلبونه هو الاستمتاع الرخيص (الجين)

هيا قاسمينى هذا ... ان علينا جميعـا أن ...
ما هى الكلمة ؟

بيـلى : لا أدرى عمَّ تتكلمين .

جـين : نهادن ؟

فوبيـا : انها تعلم ما أقصد . بالضبط يا عزيزتى . أنت تثابرين وتثابرين وتبذلين أقصى جهدك ثم يأتى وقت لا تستطيعين فيه مزيدا من المثابرة . انه نفاذ الجهد ... أو هذا ما أظنه . انه ليس الا التعقل . (لجين) هل قال لك أى شىء ؟

جـين : عن ماذا ؟

فوبيـا : أوه ، عن أى شىء . انه لا يقول لى شيئا أبدا هذه الأيام ، كل ما يقوله لى ألا أشغل بالى ثم لا يقول شيئا . لقد أخبرنى فرانك أن الفرقة لم تقبض الا نصف أجر ليلة السبت ، وهو يعتقد أن عمال المناظر لا بد أنهم تشاجروا معه لأن ...

بيـلى : لقد قال لى انه سيحضر لى بعض السجاير . كان فى استطاعتى شراؤها بنفسى خلال هذا الوقت . أظن أنه فى الروكليف .

فوييـــا : كلما سمعت طرقا على الباب لم أجرؤ على الرد خشية أن أجد شرطيا واقفا وراءه وبيـــده أمر قبض آخر .

جـــين : (تقدم السجاير لبيلى) خذ واحدة من هذه .

بيـــلى : سوق اللحم العارى القذر .

فوييـــا : ليس شعورا طيبا أن تخشى الرد على الباب .

بيـــلى : لسوف تجدين وراء الباب شرطيا حقيقيا ....

فوييـــا : (متعبـــة لا متحـــدية) أوه ، لا تقاطعنى كلما تحدثت الى چين .

بيـــلى : (لچين بأدب) شـــكرا يا عزيزتى . (يتنـــاول صحيفته) .

فوييـــا : لقد أغضبته الآن .

جـــين : لا لم تغضبيه وانمـــا هو يقـــرأ ، أليس كذلك يا جدى ؟

بيـــلى : أوم ؟

فوييـــا : أوه ، على كل حـــال ، ليس حسنا أن نقلق ، أليس كذلك ؟ تقول الصحف ان ميك عائد الى

الوطن ، ولا بد أنهم عليمون بهذه الأمور وهذا هو المهم حقا . اليك قليلا من هذا يا عزيزى .

بيـــلى : لا ، شكرا .

فوبيـــا : (لجين) املئى له كأسا . هناك واحـــد . أوه يا أبى ، انه يبالغ فى كل شىء ، ألست كذلك ؟ انه يبالغ فى كل شىء ولكنه على حق كما تعلمين. انه على حق فيما يتعلق بآرشى . ما من عدو له فى العـــالم ألحـــق به من الضرر مثلمـــا ألحق بنفسه .

جـــين : هاك يا جدى .

بيـــلى : شكرا . سآخذه فيما بعد .

جـــين : لا تأخذه فيما بعـــد . اشربه الآن فهـــذا وقت الاحتفال . هيا اذن ولنشرب نخب ميك .

فوبيـــا : نعم فما ينبغى لنا أن نجلس هنا وتترك الحزن يتسرب الى نفوسنا . لقد كاد شرابنا أن ينفد، أليس كذلك ؟ أرجو ألا يطول مقام آرشى فى ذلك المكان .

جـــين : لقد ذهب فرانك معه ، ولن يطول غيابه .

فوييا : أوه ، سيعمل فرانك على ألا يعود الى البيت جد متأخر . فرانك ولد عاقل ... انه عاقل أحيانا على كل حال . (لجين) أظن أنك أنت العاقلة الوحيدة فينا جميعا .

جين : جدى لا يعتقد هذا ، أتعتقده ؟

بيلى : ما هى الا حمقاء مثل بقيتكم .

فوييا : انه يضحك على نفسه . لديه دائما فكرة ضخمة يكسب بها المال . منذ فترة ماضية كانت فكرة تقليد النساء . وكنا سنشكل فرقة ، هذا ما قاله آرشى على أى حال . غير أنه بمجرد أن بدأ آرشى فيها ذهبت كلها هباء . والآن الروك آندرول . أوه نعم ، هذا ما تحبه النساء . انهن يسأمنه ويترددن هنا بضع مرات وهذا كل ما هناك .

بيلى : لماذا لا تكفين عن صخبك اللعين ؟

فوييا : انه لا يحب أن أتحدث فى الأمر ، كما لو كانت تجهل ما يجرى هنا طول الوقت .

بيلى : ومع هذا فليس من سبب يدعو الى التحدث فيه .

فوبيــا : انها ليست بلهاء ، أأنت كذلك ياعزيزتى ؟

بيــلى : لا أحب أن أسمع شيئا عنه ، ولا أظنها تريد .

فوبيــا : وهو كذلك . وهو كذلك .

بيــلى : لقد دَرَجتْ على مصاحبة النــاس المهذبين . انها لا تود أن تسمع عن متاعبك .

فوبيــا : لا بالطبع ، انها لا تريد .

بيــلى : فليكن اذن ... ان عيبكم أيهــا النــاس أنكم لا تعرفون كيف تتصرفون على الوجه الصحيح، هذا عيبكم . اعطِ الفتاة فرصة فلديها حياتهــا الخاصة لتحياها .

فوبيــا : كل ما أردت أن أقوله لها ....

بيــلى : وأنا أقول لك لا . ما من شيء تستطيعين أنت أن تقوليه لها . ولذا كفى عن صخبك ...

جــين : جدى ، أرجوك ...

بيــلى : لمــاذا لا تعودين الى لندن لأصدقائك ؟

جــين : فلنترك الجدل ...

بيــلى : اننا لا نصلح لك ...

جـين : ما أظن أننى أريد العودة الى لندن ...

فوبيا : انما كنت أتحدث اليها عن آرشي . أنت لاتودين السفر ، أليس كذلك يا عزيزتى ؟

جـين : بالطبع لا أود ...

فوبيا : انما أردت أن أقول فى معرض الحديث العادى أن آرشي لم يكن محظوظا ، هذا كل مافى الأمر.

جـين : هيًّا ... (تضع زجاجة صغيرة من الچن على المائدة) .

فوبيا : واذا كنت قد ذكرت النساء فلمجرد أنه كان نفس الشيء معهن ، وما اهتممت لهذا أبدا فى كثير ، لم يكن يعنينى أبدا بقدر كبير حتى أيام شبابى . ومع ذلك فاننى أظن الرجال على خلاف ذلك ، فانه أكثر أهمية عندهم . أوه ، أنظر ماذا فعلَت !!

جـين : أعتقدت أن الأفضل أن أحضر شيئا منه اذا ما تأخر أبى .

بيلى : ماذا تظنين انك مفروض أن تكونى ...مليونيرة؟

جـين : ولكنك لن تشربى شيئا حتى تتناولى بعض

الطعام ، فأنت لم تأخذى غير الشاى والسجاير منذ أيام .

فوبيا : لا أستطيع أكل أى شىء يا عزيزتى ، شرفاً .

جين : سأحضر لك شيئا .

فوبيا : لا ، لا أستطيع ، لا أستطيع ... وفرّيه .

جين : (تتحرك) لن أناقش ...

فوبيا : چين ، لقد رجوتك ... لا أستطيع . لا أريد شيئا .

جين : ولكن على الناس أن يأكلوا يا عزيزتى . اذا لم تتناولى شيئا ...

فوبيا : (ضحكة خفيفة) تقول ان على الناس أن يأكلوا . هذه نكتة حلوة .

جين : انك لاتستطيعين أن تستمرى على هذا ياعزيزتى .

(ينهض بيلى وهو يهمهم بأغنية الصخرة ويذهب نحو اليسار) .

فوبيا : على الناس أن يأكلوا . هذا ما قالته فهل سمعته؟ أين ذهب ؟

جين : ذهب الى المطبخ .

فوييا : ليس هذا هو كل ما عليهم أن يفعلوه . ان عليهم أن يفعلوا الكثير من الأشـياء التى ليس لديك حتى مجرد العلم بها ، والتى لا علاقة لها بأن تكونى متعلمـة أو ما أشـبه ذلك . ولمـاذا تحيطين بها ؟

جـين : أعلم يا حبيبتى أن الظروف أصبحت صعبة ، ولكن كونى عاقلة ، عليك أن تثابرى .

فوييا : لا تطلبى منى أن أكون عاقلة ياچين .

جـين : آسفة يا عزيزتى . لم أقصد أن ...

فوييا : لا تطلبى منى أن أكون عاقلة . انك فتاة حلوة يا چين وأنا جد مغرمة بك . ولكنك حتى لست ابنتى . لن أقبل هـذا من ميك أو فرانك مع أنهما ولداى .

جـين : وهو كذلك ، فلتنسيها . لم نشرب نخب ميك حتى الآن .

فوييا : لا ... لا تبالغى فى الافتراضات .

جـين : فوييا ، أرجوك ... أنا ...

فوييا : لا تبالغى فى الافتراضات . ما الذى يفعله هناك ؟

جـــين : لعله يحضر لنفسه شيئا يأكله على ما أعتقد .

فوييـــا : لا أريده أن يوقع الفوضى هناك . انه يعـــلم أنى لاأحب أن يذهب الىهناك . انه يترك كل شىء فى حالة فوضى كبيرة .

جـــين : هيا ، خذى هذا .

فوييـــا : لمـــاذا لم يعد آرشى ؟ أليس المفروض أن يعود الى هنا نيحتفل بعد ما سمع أن ابنه بخير وأنه فى طريقه الى الوطن ؟ اننى لا أفهمكم ... أيهـــا الناس ...

جـــين : هيا يافوييا ، لاتدعينا ندخل فى شجار ، ومن أجل لاشىء ... هذه حماقة .

فوييـــا : انها ليست حماقة . ومع هذا من الذى قال اننا فى شجار . كل ما قلته هو أننى لست جائعـــة ، فثرت على .

جـــين : لم أثر عليك .

فوييـــا : أيها الناس ... انكم جميعا سواء .

جـــين : صدقينى يا فوييا . أنا لم ....

فوييـــا : لا أستطيع أن آكل لأننى أحس بالغثيان .

جـــين : حسنا ، انتهى الأمر اذن .

فوبيـــا : أنت لا تعرفين ما هى المسألة . أنت لا تعرفين ما هى المسألة لأننا حاولنا أن نفعل بك أقصى ما نستطيع . أوه ، لقد حاول آرشى أن يفعل بك أقصى ما يستطيع ولو أن ذلك لم يوصـــل الى الكثير ، لا لأنك لم تكونى فتـــاة طيبة ، فلقد عملت بكل جهدك واستحققت النتيجـــة ، حاولت على الدوام ونلت الثمرة وهى أكثر مما حصل عليه أى منا يا عزيزتى . فأنت الوحيـــدة التى نجحت بيننا . أنت وميك الصغير والرجل العجوز طبعا . لقد نالها . لست أعنى أن لهـــا فائدة عنده الآن . فما هو الا قطعة من المـــاضى على ما أعتقد . ومع هذا فلأن يكون المرء قطعة من المـــاضى خير من ألا يكون أبدا . وكذلك ابنه الآخر ... بيل الكبير ... أخـــو آرشى . لا تظنى أنه أصبح ماضيا ، فهو شخصية كبيرة حقا الآن . انه شخصية كبيرة حقا . لا شائبة على الأخ بيل .

جـــين : (محاولة تغيير الحديث) انه محـــام ... ولذا فأنت تحبينه كثيرا . انه يشـــبه ممثل السينما

ذلك الذى يظهر دائما بشــعر مستعار ورداء فى كل ...

فوبيــا : أنا أحبه لأنه سيد مهذب . انه مختلف عن أبيك حتى وان كانا قد ذهبــا الى نفس المدرســة وما إلى ذلك . أحبه للطريقة التى يعاملنى بها . انه يتحدث الى فى لطف . والطريقة التى ينادينى بهــا « فوبيــا » ، يجب أن تسمعى طريقته فى مناداتى « فوبيا » .

جــين : لم أره غير مرتين .

فوبيــا : نعم رأيته بالطبع . لم يوافق على الطريقة التى سار عليها آرشى . لم يوافق عليها أبدا . كان فيما مضى يحضر أحيانا لزيارتنــا وكان دائما يضع فى يدى ورقتين من ذوات الخمسة جنيهات قبل أن يخرج قائلا « لا تقولى كلمة لآرشى » وكنت أحار كيف أجيبــه . كنا نسكن دوما فى بيوت حقيرة ، ولم أكن أحبه أن يجىء . كنت أشــعر بالضــعة . لم يستطــع أبدا أن يحضر زوجته ولم أعرف أبدا ماذا أقول . وبعد هذا تشــاجر هو وآرشى حــول شىء كان آرشى يفعله ، اما أضاع ماله أو فقد عمله . وأذكر أنه

جاءنا مرة وكنت أنا وآرشى لا نملك حبة ، كنا نعيش على قطع من لحم الخنزير نشتريهـا ببنس من الجزار ، وعلى ما كنا نحصل عليـه اذ ذاك من المحكمة (تخطىء فى نطقها) وكنت والأولاد تعيشون مع الرجل الكبير وقتهـا . كان آرشى يأبى أن يأخذ نقودا من أبيـه إذ ذاك ... ربما بسبب غيرة المهنـة ، لا أدرى . على أى حال علم بيل أن آرشى وقع فى شـدة مرة أخرى لا أذكر ماذا كانت ، ولكنه كان أمرا خطيرا هذه المرة على ما أعتقـد ، اذ حاول أن يصرف شيكا مزورا أو شيئا من هذا القبيل . أنا أسلم أن آرشى لم يكن ليفعل مثل هـذا لأنه لم يرتكب طول حياته عمـلا منافيا للأمانة من هذا النوع . مهما تكن بقية أعماله . لا بد أنه كان سكران . على أى حال جاء بيل الكبير، وكنا نعيش فى بركستون وقتئذ ، وعبث الأولاد الذين كانوا فى الشارع عبثا مريعـا بسيارته ، فما كانوا يرون فى ذلك الشـارع كثـيرا من السيارات ، اللهم الا سيارة الطبيب . لم ينطق بكلمة . عندما ذهبنا الى الباب ورأيت ماصنعوه بها تسمرت قدماى ، وشعرت بأشد الخجـل

وانفجرت باكيـة . فربت على ذراعى بطريقته وقال لى « أنا آسف جدا يا فوبيا . آسـفه حقـا . وأخشى أن تظل الأمـور كذلك على الدوام » . على أى حال لقد أنقـذ آرشى من الورطة التى كان فيها ، وهذا ما كان . ليست النقود ولا مساعدته لآرشى ـ مع امتنانى لهذا بالطبع ـ هى المهمة ، بل الطريقـة الهـادئة المهذبة التى كلمنى بها . والطريقة التى ربت بها على ذراعى .

جـين : نعم ليس هذا بمستغرب منه .

فوبيـا : ماذا تقصدين ... ماذا تقصدين بهذه الملاحظة ؟

جـين : أوه لاشيء ياعزيزتى . فلنكف عن الكلام فيها...

فوبيـا : ماذا تقصدين بهذه الملاحظة ؟

جـين : أوه ، مجرد أننى أستطيع أن أرى الأخ بيـل يربت على ذراعك ، ويضع تلك الجنيهـات العشرة فى يدك ، ثم يذهب فى سيارته ليتنـاول العشاء فى ناديه . هذا كل ما هناك يافوبيـا . والآن فلنكف عن الكلام فى الأمر نهائيا .

فوييـــا : أتقصدين أنه لم يكن الا راثيا لحالى ، أليس كذلك ؟

جـــين : لا ، لا أقصد هذا .

فوييـــا : هيا ، قوليها ... تقصدين أنه لم يكن الا راثيا لحالى أليس كذلك ؟

جـــين : لم أقل هذا ، ولم أقصد هذا . والآن هيا ...

(يدخل آرشي وفرانك . فرانك ولـــد شـاحب خجول فى التاسعة عشرة تقريبـــا وقد سمح لنفســـه أن يقوم بدور مرافق آرشي لـــا يبـــدو فى هـــذا من دفء ومن علاقة معقولـــة تناسب كليهمـــا . وهو عاطفى مملوء بالحنان الذى يفيض بسهولة وهو صغير ولعله سوف يظل كذلك) .

فوييـــا : أريد أن أعلم ماذا كنت تقصدين .

آرشى : يا عزيزتى ، لا يستطيع النـــاس أن يقولوا لك ماذا يقصدون . كان يجب أن تعرفى ذلك الآن .

فوييـــا : أقفل فمك لحظة يا آرشى ... أنا أكلم چين وهى تعلم ما أقصد . أنت تعلمين ما أقصد ، أليس كذلك ؟

آرشى : هل تعلمين ما تقصد ؟ أرجو من الله أن أعلم .

(لفرانك) أرى أنه كان خيرا لنا أن نبقى حيث كنـا .

فوييـا : هل أخبرك بشيء ؟

جـين : فوييا ، ماذا أنت فاعلة ؟

فوييـا : هل أقول ؟

جـين : كل ما فى الأمر اننى أعرف بالضبط كيف ربت عمى بيل على ذراعك ... بنفس الطريقـة التى كان يعامل بهـا الجنود فى الكريستماس عندما كان فى الجيش . وكم هو ديمقـراطى ، وكم هو لطيف ، وكم هو انجليزى .

آرشى : أوه ، بيل لا غبـار عليـه . وانما هو لا يفهم أمثالنا من الناس ، وهذا كل ما هنالك . وأكثر من هذا أنه لايريد . ولا لوم عليه فى الحقيقة .

فوييـا : (لچين) انك لا تحبينه ، أليس كذلك ؟ أنا أعرف أنك لا تحبينه .

آرشى : كمثـل هذا . أوه ان أخى بيل لايستطيع أن يفهم هذا أبدا ، سيتضايق بشكل مريع ، أليس كذلك ؟ ناولنى هذا الحامل يا فرنكى يا حبيبى.

فوييـــا : انك لاتسطيع آن تحبه ،فانت مدين له بالكثير .

آرشى : أرانى مضطرا لأن أقول ان هــذا سبب كاف جدا لعدم حب أى انسان .

فوييـــا : انه شىء لن يمكن أن تكونه .

آرشى : وأنا شىء لن يسكن أن يكونه ... بيــل الطيب الكبير . قد يكون ناجحا ولكنــه ليس من النوع الردىء . هــل تعلمين أن أخى بيــل له زوجة واحدة ، ولم تكن له علاقات غرامية ، وله ثلاثة أطفال لطاف موهوبون ، حصل اثنان منهم على درجات مرتبة الشرف فى كامبريدج وانهم جميعا حققوا ما يسميه الناس زيجــات ناجحة جدا .

فرانك : أى شىء على وجه الأرض هذا الذى تتحدثون فيه جميعا . هالوچين حبيبتى . ظننت أننا سنقيم مأدبة .

(يلقى ذراعيه حولها ويقبلها) .

آرشى : هذا حق جدا . لقد قرأتها فى صحيفة التلجراف اليوم . لقد مللت من طــول ما قرأت عن ميك الصغير ، وهناك فى الوسط ...

جـين : (بتطلع) لا تقل انك قرأت ....

آرشى : بالطبع قرأتها ، وهل من وسـيلة أخرى لأعرف أن أقاربى تزوجوا أو توفوا أو أنجبوا أولادا .

فرانك : كما كنت أقول ...

فرانك : قبل أن تقاطع بهذه الغلطة .

(يقبل جين بحنان مرة أخرى) .

آرشى : نعم قبل ذلك . سونيا الصغيرة تزوجت .

جـين : ممـن ؟

آرشى : أوه ، ابن أحد رجال الصناعة الكابتن « تشارلى رد الفعل الخلفى المزدوج ــ شرطه ــ تحميل الكسـور ــ جـور ، مـن ألم لودج ، شروكيسبرى ــ جلوسستر » . أين جميـع الأكواب بالله عليكم ؟ يالبيل الطيب العجوز ، لقد حصل على كل ما يبتغيه الآن بما فىذلك الكابتن « تشارلى رد الفعـل الخلفى المزدوج جور » .

فوبيـا : آرشى ، انى أكلم چين .

آرشى : نعم ، أظن أن هذا ما كنت تفعلين . وانما لخصت الموقف فى لمحة .

فوييــا : أوه ، من السهل على النــاس من أمثالك أن يمزحوا . لقد تركت المدرســة وعمرى اثنــا عشر عاما .

آرشى : وحق المسيح ، لو قالت لى هــذا مرة أخرى فسأصعد الى السطح وأصرخ . لم أفعل هذا أبدا من قبل .

فوييــا : كانت المصروفات ست بنســات فى الأســبوع اذ ذاك .

فرانك : اتركها وشأنهــا يا ابن الحرام العجوز . هيــا يا ماما ، سنقيم مأدبة .

فوييــا : انى أكلم چين .

آرشى : نعم ، لقد دخلنا على هذا . ولكن لمــاذا لانتكلم چين جميعا . اننا لانراها كثــيرا . فرانك ... كلم چين .

فرانك : بابــا ....

(يومىء نحو فوييا مبتئسا اذ يراهــا على تلك الحــال ولكن آرشى الذى جــاء متأهبا لأن يكون مرحا قد تعب وبدأ يتخلى عن الموقف) .

آرشى : فلنشرب كأســا أولا . اذا أريد لى أن أكون

دبلوماسيا جدا أو كيسا جدا فلابد أن أشرب الكثير أولا .

فوبيـــا : كان علينا أن ندفع ستة بنسات فى الأسبوع ، وفى معظم الأسابيع لم تكن أمى تجدها ...

آرشى : هذه دولة احسان يا حبيبة قلبى . ليس فيهـــا محتاج ولا من ليس معه . الكل مكفولون .

فوبيـــا : كنت خارجة أكنس حجرة طعام ل ...

آرشى : كلنا على ما يرام . ميك الصغير على ما يرام ، وبيل على ما يرام . انه لم يترك نفسه يدخـــل السجن على يد حفنة من الخنـــازير . وفرانك على ما يرام ... لن يوقد الغلايات بعد هذا ... أليس كذلك يا ولد ؟

فرانك : أريد أن تسكتنا كلاكما .

آرشى : وچين على مايرام . ستتصالح مع جراهام وتنسى حماقة ميدان ترافلجار ورؤساء الوزارات الذين يشبهون الكلاب تحت الدَرَج . اليك هـــذا يا عزيزتى . (يقدم كأسا لفوبيا) .

فوبيـــا : أنت لاتفهم ....

آرشى : بل أعلم . كانت فوبيـا تكنس حجرة طعـام خمســمائة طفل وهى فى سن الثانيــة عشرة . أليس كذلك ؟

فوبيـا : أوه ....

ارشى : أليس كذلك ؟ هل عند أى واحد منكم فكرة كم مرة حكت لى عن هؤلاء الخمسمائة طفـل وعن حجرة الطعام هذه .

فرانك : أوه . اسكت .

آرشى : أجل يابنى . سأسكت . ناول هذا لچين . تبدو كما لو كانت قادرة على تناوله .

(يقوم فيعطى كأسا لجين ويظل واقفـا بجوار الكرسى الذى عند الباب الأيسر) .

جـين : أقــدر .

فرانك : كنت غائبة عنا زمنا طويلا . فكل ليلة هى ليلة احتفال .

آرشى : أو تدرين لمـاذا ؟ أتدرين لمـاذا ؟ لأننا موتى مكدودون مضيعون . نحن سكيرون مجانين . نحن حمقى ، نحن تافهون ، كل مجموعتنـا المحترقة . نعم فان لنا مشاكل لم يسمع بهـا

أحد أبدا . نحن شخصيات فى مسرحية لا يصدقها
أحد . نحن شيء يتندر به النـاس لأننا أبعـد
ما نكون عن الحياة اليومية العـادية للبشر .
وليس فى هذا ما يبعث على المتعة بل هو باعث
على الملل لسبب بسيط هو أننا لسـنا مثل أى
آدمى عاش على وجه الأرض . نحن لا نماشى
أى شيء . نحـن لا نوفق أبدا فى أى شيء .
نحن عوامل ضيق لا نفعل شيئا مما يثير اهتمام
الخالق القدير . نحاول طول الوقت أن نسترعى
انتباه انسان ما لمشاكلنـا القذرة الحقيرة غير
المعقولة التافهة . مثل هذا الشيء المسكين الكريه
العتيق الذى هناك . أنظرى اليها . ماذا تستطيع
أن تفعله مع انسان مثلك ؟ انسان ذى ثقـافة
وفلسفة . لقد أفقدتها الخمر صوابها وبدأ عقلها
الغائب المتخلف الجامد يعدو لأن مجرى دمها
ملىء بالكحول الذى لا أملك أن أقدمه لها .
وسوف تفرض علينا أن نصغى لكل نوع من
التفاهات الممجوجة التى سمعناها مئات المرات
من قبل . انها تزحف نحو الشيخوخة فهى قلقة
عمن سيتكفل بها حين تعجز عن العمل ، وهى
خائفة من أن تنتهى الى صندوق طويل فى مدفن

شخص غريب فى جيتسهد أو لعلها وست
هارتلبول ؟

فوبيا : عم يتكلم ؟

آرشى : ستقول لك ان أخى الكبير بيل دفع جميع
نفقات تعليمك . هذا ما تريد أن تقوله لك
يا چين ، وأن المنحة الدراسية لم تتكفل بالأشياء
ذات الأهمية الحقيقية كالكتب والانتقالات
والملابس وسائر البقية . كل هذا دفعه بيل لكم
جميعا . وفرانك يعلم هذا ، أليس كذلك
يافرانك ؟ آسف يافوبيا . لقد أحرقت حكايتك .
ان آرشى العجوز يستطيع أن يحرق كل ما فى
جعبة أى مهرج من الحكايات ان شاء .

فوبيا : انها لا تعلم شيئا عن ميك أو عنك أو عنى .
أعرف أنها لا تعلم .

آرشى : سوف تكتشفه . كلنا نكتشف هذه الأشياء
بمرور الوقت (لفرانك وچين) لقد تعبت وأشرفت
على الشيخوخة . تعبت ، وتعبت منى . لم
يمنحها بشر طول حياتها قدر بنسين من الذخر
اللهم الا شخصها التافه الذى لا تستطيع تقديم

أى شىء غيره لهذا العالم . كل ما أعطى لها هو
أنا ، ويالله ، لقد تعبت من ذلك !! أليس كذلك
يا حبيبتى ؟ ألم تتعبى من ذلك ؟ .

فوبيـــا : (بعنف) لقد حاولت أن أصنع شيئا من نفسى.
حاولت . حاولت يقينا . لم أكن على كثير من
جمال المنظر ، ولكننى جعلت نفسى ما كنت .
كنت طفلا عاديا ... لا لم أكن . لم أكن حتى
هذا . كنت أكأب طفل قذر رأيته فى حيـــاتك .
لم يقع بصرك أبدا على أحد أشد قبحـــا مما
كنت ، ولكننى صنعت شيئا من نفسى . حاولت
أن أصنع شيئا . جعلته يريدنى على كل حال .

فرانك : كلكم تتصـــايحون !! من فضلكم ، فليتكلم
أحدكم بهدوء مرة واحدة . ســيكون هؤلاء
البولنديون الأقذار هنـــا فورا . فلنتعـــارك .
يبدو أننا سنتعارك على أى وجه . ولكن ألا
يمكن أن نتعارك فى هدوء من فضلكم !!

آرشى : كان ذلك منذ زمن بعيد . انهم يعلمون أنه كان
من زمن بعيد . (لفرانك) أرجو أن تكف عن
الصـــياح ، انى لا أستطيع أن أسمع صـــوت

صراخى . غن لنا احدى أغنياتك . هيا أيها الولد اللطيف . أين الرجل العجوز ؟

جين : فى المطبخ ؟

فرانك : بيلى ، تعال هنا . ماذا يفعل هناك ؟ شىء سرقته من محل الكامبريدج ؟ ألم تجده أبدا على منضدة المطبخ ، كقطعة من اللحم على (قورمة) أو تقطيع شرائح من فخذ الخنزير . (لجين) ألست راغبة فى العودة الى جراهام ؟

فوبيا : فرانك ، انه سيحضر احدى النساء ، أليس كذلك ؟ سيحضرها هنا ، أليس كذلك ؟

آرشى : اتركها وشأنها يا بنى .

(يجلس الى اليسار على الكنبة المجاورة للباب الأيمن) .

فوبيا : ألا تعلمون اننى أنام متيقظة فوق وأسمع مايجرى ؟

آرشى : بالطبع يعلمون . انهم يعلمون أى نوع من أولاد الحرام أنا يا حبيبتى ، أظن انهم يعلمون تقريبا . نعم ، كما تعلمين تقريبا ، ستكون على ما يرام ، اليس كذلك يا حبيبتى ؟ أين الرجل العجوز ؟

(لفرانك وچين) والآن لا تزعمــوا أنــكم لم تتعودوا هذا .

(يظهر بيلى) .

ها أنت أيهــا المـاضى العجوز . هل أحضرت لنا شريحة من فخذ الخنزير ؟

بيــلى : ما الذى جرى لكم جميعا ؟

آرشى : اننــا جميعــا ننتظر مجىء العــربة الصــفراء الصغيرة ...

بيــلى : هل أحضرت سجايرى ؟

آرشى : فيما عدا چين ما زال هناك أمل فيها . انتظر أيها العجوز ، ستقرأ فى القريب عن حفيدتك والمستر جــراهام شىء من ألم لودج فى شرو كسبرى جلوستر . هيا خذ .

(يرمى السجاير لبيلى ويقدم له كأسا) .

فوييــا : كنت تأكل من الكعكة .

بيــلى : مــاذا ؟

فوييــا : كنت تأكل من كعكتنى . كنت تأكل من كعكتى، اليس كذلك ؟

بيلي : (متجهما) كنت جائعا ...

فوبيا : تلك الكعكة كانت لميك . كانت لميك ولم تكن لك .

بيلي : آسف ...

فوبيا : لقد اشتريتها من أجل ميك . كانت له عندما يعود الى البيت .

آرشى : حسنا لا بأس .

فوبيا : ماذا تعنى ... بقولك لا بأس ! !

آرشى : ميك لن يهتم .

فوبيا : ولكننى أهتم . أنا لا أريد أن يدخل هذا المطبخ . قل له أن لا يدخله . انها ليست بالشيء الكثير ، وهى ليست لى ، ولكننى أهتم بها جدا ، لماذا لم تتركها وشأنها ؟

بيلي : لقد تصورت ...

فوبيا : ألم تستطع أن تتركها وشأنها ؟ انها لم تكن لك . ماذا جرى لك ؟ اننى أطعمك ، أليس كذلك ؟ لا تظن أنك تعطينى مبلغا كافيا من المال كل أسبوع ، لأنك لا تفعل هذا .

أرثى : فوبيا ، انس هذا الموضوع .

فوبيــا : لن أنساه ، لن أنسى شيئا . لن أنسى شيئا حتى لو نسيت أنت .

آرثى : حسنا ، اشتر واحدة أخرى .

فوبيــا : آه ، ستشترى أنت واحدة أخرى ، فانت غنى جدا . انت ناجح نجــاحا عظيما . ماذا تكون كعكة صغيرة ... سنطلب دستة منها !! لقــد اشتريت هذه الكعكة وكلفتنى ثلاثين شــلنا . كانت لميك عندما يعود لأنى أريد أن أقدم له شيئا ، شيئا أعلم أنه سيسر به بعــد أن كان حيثما كان وقاسى ما قاسى . والآن فان هــذا الخنزير الشره القذر العجوز ــ وكأنما لم ينل كفايتــه من كل شيء ــ يذهب فيغرس أصابعه الغليظة فيها .

(تعجز عن تحمل هــذا فتنفجر باكية . بيلى يقف خجلا فى شــدة الألم مما قالتــه رغم أنه يدرك فى غير وضوح الحالة التى هى فيهــا . يضع الكأس الذى كان يشربه والسجاير) .

بيــلى : معذرة يا چين .

(يتجه الى غرفتــه ويخرج) .

فوبيـــا : ليس عندك من سيحضر الليلة . أليس كذلك ؟

آرشي : أظنه أخذ أكثر من أى واحد منـــا ، وتمتع بما أخذ . حظ سعيد له . ومع ذلك ما كان لك أن تفعلى هذا . لا ، لن يحضر أحد .

فوبيـــا : أوه ، آسفة يا آرشي . حاول أن تسامحنى ...

آرشي : ليس معنى هذا اننى لا أريد أن يكون هنـــاك من يحضر . ولـــكنك ســـتعلمين حينئذ . هيا يا حبيبتى ، تمالكى نفسك . هذا ما كان ينبغى أن نفعله منـــذ ســـنين . ان تتمالك أنفسنا . فلنتمالك أنفسنا . (يغنى) فلنتمالك أنفسنا ، أنفسنا ، أنفسنا ، فسنكون أسعد حالا * .

فرانك : هذا حق أيها الشباب... تذكروا اننا بريطانيون.

آرشي : هذا ما يفعله كل منا . انه بسيط جدا . لقـــد عرفته على الدوام . هذا ما كان أخى الكبير بيل يقوله لى دائما ... والآن فلنملأ كؤوسنا ونسعد. ماذا عن ميك ، اه ؟

---

* الأصل : Let is pull ourselves together, together etc.

(يريد به الكاتب معارضـــة الأغنيـــة المشهورة

(The more we are together, together, together, the happier we shall be).

فرانك : نعم ، ماذا عن ميــك . لا يستبد بك الحــزن هـكذا يا چين . انت تعلمين ما نحن عليه .

جــين : أحقــا ؟

آرشي : لا بأس ، فمــا من سبب يدعوها لأن تحزن ، على حد قول فوبيا . كلنا منقبضون قليــلا ، وهذا معناه أننا أبعد قليلا عن الانسانية ممــا اعتــدنا أن نكون . (لفرانك) أليس هــذا صحيحا يا حضرة وقاد الغلايات العظيم . أراهن أن المرضى فى ذلك المستشفى قد تجسدوا جميعا حتى الموت ... لا بد أنه وفر الألوف على هيئة التأمين الصحى .

فرانك : (لفوبيا) هل تحسين انك على ما يرام الآن ؟

فوبيــا : لعل چين لا تريد أن تأخذ كأسا ، أو تعلم لماذا ؟

آرشي : لا . لمــاذا ؟

فوبيــا : لانى لا أظن انهــا تكن له حتى مجرد الحب . لا أظنها تحب ميك .

آرشي : ما من سبب يدعوها لحبه . ولكن هذا لا يمنعها أو يمنعنى . فرانك ، ادخل وتكلم مع الرجــل العجوز واحمله على العودة (يتجه نحو عقــد

الباب الأيمن) سنحاول أن نكون عاديين قليلا ولو مرة ، وتنظاهر باننا أسرة سعيدة محترمة مهذبة ، اكراما لميك.فانى لأظن ـ كما تعلمون ـ أنه يحب ذلك حقا من وجه ما . أنا واثق من أنه يعتقد اننا فى منتهى الفظاعة ، ألعن من الخنازير فى الواقع ، لا تبتئسى يا چين فلن يكون عليك أن تصمدى لمثل هذا طويلا ... أكثر من ميك . وهذه حفلة ميك . فويبا ، هيا فلنشاهد شيئا من رقصك (يلقى بهذه العبارة بطريقته المعتادة العرضية المدروسة) انها تجيد الرقص ، أليس كذلك أيها الشىء المسكين العجوز . انى لأتساءل هل ستحملنى على البكاء الليلة . سوف نرى . يا فرانك غنّ لنا أغنيتك .

جين : أنا لا أعرف حتى كنه احساسى ، أو حتى اذا كنت أحس أبدا .

آرثى : لا بأس يا عزيزتى . أنا كذلك لم أعرف هذا منذ سنين . لقد توفاك الله منذ زمان طويل يا مسز ميرفى ، فلنجعلها احتفالا . ان ميك الجندى عائد الينا ، فلنعلنها بأعلى صوت .

(ستار)

(٧)

(موسـيقى — يظهر آرشى ووجهه مشرق بابتسامة مصطنعة ، جامد وراء عينيه . ومن آن لآخر ، ولمدة ثانية او ثانيتين ، يبدو عليه بشكل طفيف جدا انه مندهش تقريبا اذ يجد نفسه حيث هو) .

آرشى : اسمعوا اسمعوا اسمعوا . لقد رأيت لتوى رجلا بليمونة ملتصقة بأذنه . ليمونة ملتصقة بأذنه . فذهبت اليه وقلت له « ماذا تفعل بهذه الليمونة الملتصقة بأذنك ؟ » فقال « أتعرف ذلك الرجل الذى يستخدم السماعة ... أنا الرجل الذى يستخدم الليمونة » . أشكركم على ما صدر منكم من تنفس عميق . كان ينبغى أن تسمعوا ماذا قال جيمس أجيت عنى . (راجعا) ولكن عندى صبر يا سيدتى أليس كذلك ؟ عندى صبر . نعم . تظنوننى موجودا ، أليس كذلك ؟ حسنا ، أنا لست موجودا . ولكنه موجود . هيا هيا . هل حكيت لكم حكاية الزوجة ؟ هل حكيت ؟ زوجتى ... انها ليست غبية فحسب ، ليست غبية فحسب ، بل انها باردة أيضا . أوه

نعم ، باردة . قـد تبدو جميلة ولكنهـا امرأة
شديدة البرود ، زوجتى . باردة جـدا . باردة
كان من المتعين أن تكون حقا انسانا له اعتباره .
وغبية . انها ما يسمونه « مارون جلاسـيه » .
لا تصفقوا بشدة فالمكان قديم جـدا . حسنا ،
عندى صبر ، أليس كذلك ؟ نعم ، عندى صبر .
أنظروا الى ... كله حقيقى كما تعلمون . أنا ...
كلى حقيقى ، لست خيـالا . لا تعتقدون اننى
حقيقى ، أليس كذلك . حسـنا ، أنـا لست
حقيقيا . (يتعثر) لن أحرمكم من المتعـة التى
أعلم انكم تنتظرونها جميعا . نعم سأغنى لكم .
سأغنى لكم أغنية صغيرة ، أغنية صغيرة كتبتها
بنفسى . لم أسجلها ولهذا فاذا أعجبتكم قولوا
لهم. انهم لن يصغوا اليكم ولكن قولوا لهم.أغنية
صغيرة اسـمها « فتاتى مقطوعة الأنفاس دائما
ولكنها لاتمانع فى اعطاء ضربة قوية » . (يغنى)

الآن ما أنا الا انسان عادى
مثلك انت هنـاك
لست مفتونا بالنساء ، لست زير نساء
لا أهتم بهن حقا أبدا
أنا ما تسميه معتدلا ،

أزن كل ما للأمور وما عليها .
أنا لا اضغط وأقلب
فى ذلك الشيء الذى يسمونه الحب
أنا لا أدخل أبدا من أجل الدخول .
أحمد الله اننى عادى ، عادى عادى .
أحمد الله اننى عادى .
ما أنا الا مثلكم أيها الأخوان .
أحمد الله اننى عادى ،
ما أنا الا مثلكم أيها الأخوان .
مهذب وحكيم ،
أنا لست واحدا من المثقفين المتزمتين .
لأننى واثق من أنكم ستوافقون
على أن انسانا مثلى
هو ملح وطننا العزيز العريق .

(يسلط ضوء مناسب . يستمر) .

ولكن عندما يهدد تراثنا
فى الوطن أو عبر البحار

(تعزف مقطوعة «ارض الأمل والمجد») .

فان الشباب من أمثالنا ... نعم أنتم وأنا

هم الذين سيسيرون مرة أخرى الى النصر.
يقول بعض الناس أننا انتهينا ،
يقول بعض الناس اننا أصبحنا فى خبر كان
ولكننا لو وقفنا جميعا

(الأضواء تكشف وراء الستار الخفيف عن فتـــاة عارية تحمل على راسها خوذة بريطانيـــا وتمسك كلبا من نوع البولدوج وحربة مثلثة الطرف) .

الى جانب هذه الأرض العزيزة العريقة
فان المعركة ستكسب .
أحمد الله اننا عاديون ، عاديون ، عاديون.
أحمد الله اننا عاديون .
نحن زهرة الوطن
وعندما يجىء النداء الأكبر
سيطل علينـــا
من يقول : انهم لم يحدثوا هرجا —
لأن هذا كان أجمل ما أمطرتهم السماء .
نعم كان هذا أجمل ما أمطرتهم السماء .
أحمد الله اننا عاديون ، عاديون ، عاديون،
أحمد الله اننا عاديون .
نعم هذا أجمل ما أمطرتنا السماء .

(يخرج آرشى)

(٨)

آرشى : ستسرق سراويلك وتبيعها كمنافض .

فرانك : من ؟

آرشى : مسز روبرتس ، رقم ٧ كلايبث لين ، كانت تقول هذا دائما

فرانك : عمن تتكلم أيها الكلب اليمينى القذر العجوز .

فوبيا : انى أتكلم عن هذه الكلبة الشقراء التى فى الكامبريدج ، تلك التى تقلب رأس جدك على الدوام . ثم لا تسمنى كلباً يمينيا عجوزا .

فوبيا : انى أذكر مسز روبرتس ،كانت لطيفة جدا معنا .

آرشى : قد أكون كلبا عجوزا ، ولكنى لست يمينيا .

فرانك : هذا لمدخنى السيجار فقط من أمثال جدى . (يرقص) « أوم ، طرف سيجارى القديم ، سيجارى . طرف سيجارى القديم . أدرتهم ولمستهم بطرف سيجارى القديم . طرف سيجارى القديم ، سيجارى ... » .

آرثى : كان فى مدرستى شاب يسعى الى دخول حكومة العمال ، وكانوا يقولون عنه دائما انه من يسار الوسط . ثم دخل مجلس اللوردات فجعلوه سماكا محترما . نعم فهذا ما يغطى يسار الوسط تقريبا ، أليس كذلك ؟

فرانك : أنت تعلم انك لا تعلم عم تتحدث .

بيسلى : كان من عادتى أن أستأجر جحورا فى كلايبت لين ... عشر شلنات فى الأسبوع شاملة .

فوبيا : فرانك ، أظن أنك كنت تستخفني .

آرثى : لو استطعتم أن تتجنبوا كل الكليشيهات المتساقطة من السقف كالوطاويط لأمكنكم أن تظفروا بشيء منى .

فرانك : حسنا ، لقد استطاع كثيرون غيرنا أن يظفروا به منك .

آرثى : تذكر على الأقل اننى أبوك .

فرانك : ومتى تذكرت أنت هذا ؟

فوبيا : فرانك ، هيا فلتكن ولدا طيبا .

آرثى : انت تريد أن تكون مثل چين ...

فرانك : أنهـا لم تعـد متعودة علينـا . أليس كذلك يا حبيبتى ؟

(يضع ذراعه حولهـا) .

جـين : انى على ما يرام .

فرانك : أحقا ؟ أراهن أنك نسيت كيف كان حالنـا ، أليس كذلك ؟

فوبيـا : انها لم تنس بالطبع . انها لا تنسىٔ بمثل هـذه السهولة . أتنسين يا عزيزتى ؟

جـين : لا ... لا أظن ذلك .

فرانك : (لفوبيا) أتشعرين بتحسن ؟

فوبيـا : نعم ، أشكرك يا عزيزى . تعال هنـا واعطنى قبلة . (يفعل ذلك) انه ولد طيب معى . ألست كذلك يا عزيزى ؟ حتى وان أسـأت التصرف قليلا أحيانا . كلنا نسىء التصرف قليلا أحيـانا على ما أعتقد .

آرشى : ما عدا جين ...

جـين : هـلا تفضلت بالكف عن محـاولة جعلى أشعر بأننى من كوكب آخر أو ما أشبه .

فوييـــا : ان آرشى يمازحك . أليس كذلك يا آرشى ؟
لم أتناول حبوب بيتشام الخاصـــة بى أمس .
أتعلمـــين أن أمى لم تعرض نفسهـــا أبدا على
طبيب طول حياتها ، الا عنـــدما ولدتنا بالطبع ،
وكل ما كانت تتعـــاطاه هو مقـــدار بنسين من
حبوب بيتشام والبيروكسيد ونقط داتش .

جـــين : بيروكسيد ؟

فرانك : كانت تشربه كالبيرة .

فوييـــا : نعم ، لقد عاشت حتى الثالثـــة والتسعين ولم
تكلف الحكومة بنسا واحـــدا طول حياتهـــا .
(لبيلى) هل أنت بخير ؟

بيـــلى : نعم ، أشكرك يا فوبيا .

فوييـــا : (لآرشى) ضع شـــيئا فى كوبه يا آرشى . انه
فارغ تقريبا .

بيـــلى : كنت أحاول تذكر اسم المرأة .

فوييـــا : أى أمرأة ؟

بيـــلى : تلك التى كانت فى كلاييت لين . كانت تقدم لنا
فخذ الخنزير كل صباح فى الافطار وكانت تذيب
الجبن فوقه . أول مرة ذقته فى حياتى .

فوبيــا : لا أحب مثل هذا الشيء كثيرا . هنا ، هل ... معذرة لمقاطعتك اذ تذكرتها الآن فقط ... هل رأيت تلك الصورة المنشورة فى الصحيفة اليوم لابنة دوقة پورت ؟

فرانك : وهل لا بد من رؤيتها ؟

فوبيــا : ما كنت لأراها ، وانما كنت فى الواقع أقــرأ فقط عن ميك بالطبع ، ولكننى لم أستطع اجتناب رؤيتها . كانت رائعة . هل رأيتها يا آرشى ؟

آرشى : أوه نعم . كانت بجــانب الــكابتن بريتش ــ لودنج جور .

فوبيــا : ألا تعتقد أنها بديعة المنظر .

آرشى : أظن أنها تشبه فتــاة البــار صاحبــة أبى فى الكامبريدج .

فرانك : نعم ... فى تثاقل خطاها .

فوبيــا : فــرانك !!

آرشى : (بسرعة) فوبيا حريصة جدا على دوقة پورت ، ألبست كذلك يا عزيزتى ؟ تقول انهــا تعتقــد أنها طبيعية .

فوبيــا : اظن فى هذا بعض الحق ، ولكن .. كانت دائما موضع اهتمامى . آوه ، منذ أن كانت صــغيرة جدا . أشعر بأنهــا جميلة جــدا من وجــه ما (سـكوت) (لآرشى) هل هو بخير ؟ (مشيرة الى بيلى) .

آرشى : انه على ما يرام ؟ أنت بخير ، أليس كذلك ؟

بيــلى : كانت دائما تضع الجبن على لحم الخنزير .

آرشى : أنه يفكر فى صاحبة البيت فى كلاييث لين . أتعلم أن فتــاة البــار التى فى الكامبريدج تذكرنى بانسان ... (لچين) سيهمك هذا لأنه من حديث رؤساء الوزراء والكلاب ... كان ايرلنديا وكان يقــوم بدور ترامبولين وكانوا يسمونه ليــدى روزى بوتوايز . والواقع أنه كان ولدا شديد التدين . وقد ترك كل ذلك فيما بعد واشتغل بالملاقات العامة أو شىء ما . الشاهد أن روزى يعرف من الألفاظ القذرة أكثر مما قد تسمعه فى أى مكان فى أى ليلة سبت ، وكان يستضيع آن يستمر عشر دقائق دون أن يتوقف ليتنفس ودون أن يكرر أى كلمة . كان فنانا . غير أن أقبح كلمة من أربعــة حروف فى الانجليزية أو

أي لغة أخرى عند روزى كانت كلمة « تورى »
وكان يطلقها على أي شيء بشرط أن يعتقد أنه
على درجة كافية من السوء * .

بيلى : أراهن أنه ايرلندى .

آرشى : هذا ما قلته حالا . حاول أن تصغى .

فوبيا : أعتقد أن فرانك كان سيغنى .

آرشى : لو أعطيته طبقا من البطاطس الردىء الطهو لرفعه وقال « من الذى صنع هذه الشرائح الرديئة الفارغة المتعفنة المحافظة (التورى) ؟ » .

فرانك : لقد قلت هذه الحكاية من قبل .

آرشى : سأصفعك حالا .

فرانك : سأصفعك أنت حالا ... مع أنها ليست حكاية جيدة .

آرشى : عندما تتعلم كيف تحكى حكاية مثلما أحكيها أنا ، ستكون على ما يرام ...

---

* Tory : هو الاسم التقليدى لحزب المحافظين فى بريطانيا ، وهو الصفة التى تطلق على عضو الحزب أيضا .

فرانك : لن ابدو أبدا عجوزا بالقدر الذي يحملني على ان احكي حكاياتك .

آرشي : امن الاحسن لك أن تغني ، أليس كذلك ؟

فرانك : وهو كذلك . وهو كذلك . سـأغني . سأغني لجين لأنهـا لم تسمعني . سأغني احدى أغاني بيلي . انها بريطانية ...

بيـلي : ما هذا ؟ أي أغنية ؟

فرانك : ودينية جـدا .

بيـلي : أي أغنية سيغنيها ؟

فرانك : ولذا فان فيها شيئا ما لكم جميعا .

(يغني ويرقص) .

بعد ما هتفتم : احكمي يا بريطانيا ،
وبعد ما غنيتم : حفظ الله الملكة ،

وبعد ما انتهيتم من قتل كروجر بأفواهكم ،
ألا تتعطفـون فتسقطون شـلنا في رقي
الصغير
لسـيد يلبس الكاكي تلقى الأمر بالسفر
الى الجنوب .

انه شحاذ شارد اللب كثير مواطن الضعف
ولكننا نحن المخبرين نأخذه كما وجدناه
لأنه ذاهب الى الخدمة العامة ، وهو يمحو
شيئاً ما من أحد الألواح .
وقدخلف وراءه كثيرا من الأشياء الصغيرة.
ابن الطاهيــة وابن الــدوق وابن الايرل
المتمنطق .

* * *

خمسة آلاف حصان ورجــل تلقت الأمر
بالسفر الى خليج تيبل .
كل منهم يؤدى عملا لبلاده ...
ومن ذا الذى سيرعى الفتاة ؟

دعوا القبعة تمر لتتلقى نقودكم ، وادفعوا،
ادفعوا ، ادفعوا .

بيــلى : دعــوا القبعة تمر لتتلقى نقودكم ، وادفعوا ،
ادفعوا ، ادفعوا .

لا بأس بالنسبة لهاو .

بيــلى : آخر مرة غنيت هذه الأغنية كانت فى حانة ، فى
مكان فى يوركشير ، اذا اشتريت فيه كوزا من
البيرة أعطوك طبقــا من عصيدة يوركشير فى

ذلك الوقت ، به أقصى ما تستطيع أن تأكل .
كل هذا مقابل بنسين .

آرشي : دع عنك هذا يا أبى . ما قدم أحد أبدا شـيئا كهذا ، حتى فى أيامك .

بيـلى : أنا أقول لك انك كنت تأخذ طبقا من عصيدة يوركشير ...

آرشي : لقد خرفت فعلا من الشيخوخة .

بيـلى : به أقصى ما تستطيع أن تأكل .

آرشي : ان عقلك ذاهب يا أبى . يجب أن أجلس .

بيـلى : انى جالس .

آرشي : أصابك الوهن .

فوبيـا : آرشي ، لا تشاكسه .

بيـلى : لست واهنا . لست فى نصف وهنك القذر ...
ولله الحمـد (فجـأة يراهم يبتسمون لمنظره)
أحمد الله انى لست كذلك ، هذا كل ما فى الأمر .
أتظن أنك تستطيـع التغلب علىّ بسهـولة .
اعطنى شيئا من هذا .

فرانك : حين لا تكون هناك فتاة تشعر بوحدة شديدة .
حين لاتكون هناك فتاة تغدو وحيدا مع نفسك...

آرشى : اسكت لحظة من فضلك . انى أحاول أن أتذكر.
آه نعم نعم . البنت التى أحبها فوق دورة المياه،
البنت التى أحبها تنظر الى من أعلى

فوبيا : لا ، لا تغن هذه يا آرشى . لا تغنها هكذا .
(لچين وفرانك) دائما يغنى هذه الأغنية ،
أليس كذلك ؟ انها أغنيته المفضلة على ما أظن.

جين : غنها أنت .

فوبيا : أنا ... أوه أنا لا أستطيع أن أغنى ، ولا
أعلم حتى هل أذكر الكلمات .

فرانك : هيا يا حبيبتى ، حاولى .

فوبيا : (لآرشى) هل أغنى ؟ (يومىء ايماءة خفيفة)
وهو كذلك اذن (تغنى) .

أوه الفتى الذى أحبه فى الشرفة فوق
الولد الذى أحبه يطل علىّ من عل
أين هو ؟
أنه هناك
يلوح بمنديله

سعيد كالعصفور
الذى يغرد على الشجرة .

جين : شكرا لك يا فوبيا . شكرا لك .

فوبيا : كانت رائعة جدا على ما أعتقد .

بيلى : حسنا ، أنا ذاهب الى فراشى .

فوبيا : من الآن ؟

بيلى : (ذاهبا الى حجرته) نعم ، انما جلست لأشرب كأسا نخب ميك الصغير . سآوى الى فراشى قبل أن يصعد هؤلاء البولنديون الأقذار الى هنا . ليلتكم سعيدة جميعا . (يردون ، ليلة سعيدة) .

فوبيا : أظن اننى يجب أن أذهب بعد لحظة . أشعر ببعض التعب . وسوف لا أذهب للعمل غدا أيضا . نعم ، ما أظنكم تتوقعون أن أذهب ، أليس كذلك ؟

جين : بالطبع لا تتوقع .

فوبيا : ولعلى مهتاجة الى الحد الذى لا أستطيع معه

نوما على أى حال . (لچين) هل أريتك الخطاب الذى تلقيته من كلير ؟

جـين : من هى كلير ؟

آرشى : (لفوبيا) أنا ذاهب الى فراشى يا عزيزتى .

فوبيـا : دقيقة واحدة . سأقرأ لها خطاب كلير . كلير ابنة أخى ... تلك التى فى تورنتـو . الأفضـل أن أقراه لك فخطها ليس حسنا جدا . انها ابنـة أخى چون . انهم جميعا هناك الآن وكذلك أخى چون . لقد بدأوا فى شغل المطاعم منـذ أربع سـنوات بخمسمائة دولار ... وهـذه بنتهـم الصغرى (تناول صـورة فوتوغرافية لچـين) والآن لديهم فندق فى تورنتو وسيفتحون فندقاً آخـر .

آرشى : (لچين) ليس عليك أن تبدى اهتماما يا عزيزتى . (لفوبيا) انها لا تهتم بكل زوث الخيل هـذا عن كنـدا .

فوبيـا : انها تهتم طبعا ، ولا ترفض الاصـغاء . أليس كذلك ؟

آرشى : لمـاذا لا يغنى فرانك أغنية أخرى ؟

فوبيـــا : أنا أحاول فقط أن أوضح لهـــا . لقـــد فتحوا واحدا فى تورنتو وسيفتحون فندقا آخـــر فى أوتاوا . وأخى چون يدير فندق تورنتو نيـــابة عنهم . ولكنهم يريدون منا أن نلحق بهـــم وأن يتولى آرشى ادارة فندق أوتاوا .

آرشى : ما الذى أعرفه عن الفنادق ؟ كل ما عشت فيـــه هو الجحور .

فوبيـــا : انه يغضب كلما ذكرت ذلك .

آرشى : بالله لا تقولى اننى أغضب كلما ذكرت ذلك مرة أخـــرى . لقـــد ذكرته ، أليس كذلك ؟ ولست غاضـــبا ، وانما أظن فقط انهـــا فكرة قـــذرة لا هدف لهـــا .

جـــين : متى كتبوا اليك هذا ؟

فوبيـــا : منذ نحو أسبوعين . أوه انها تقول اننا لا نحتاج لاتخاذ قرار قبل شهر أو شهرين .

جـــين : وماذا عن الأولاد ؟

فوبيـــا : فى وســـعهم أن يحضروا أيضا اذا أرادوا . أنا

لا أعرف شـيئا بخصوص ميك ، ولكن فرانك مرتاح للفكرة ، أليس كذلك ؟

جـين : أحقـا يا فرانك ؟

فرانك : تلفتى حولك . هل تستطيعين أن تجدى سـببا واحدا قويا للبقاء فى هذا الركن المريح الصغير من أوروبا ؟ لا تخدعى نفسك فتظنى أن أحدا سيتركك تفعلين شيئا أو تحاولين شـيئا هنـا يا چين ، لأنهـم لا يسمحون . ما من فرصـة أمامك . من أنت ؟ انت لا شىء . انت لا شىء ، فليس عندك مال ، وما زلت صغيرة . وعنـدما تبلغين آخـر الشوط ، من المؤكد جـدا انك ستظلين لا شىء ، وستظلين بلا مال . والفارق الوحيد انك ستكونين قـد بلغت الشيخوخة . من الخير لك أن تبـدئى فى التفكير فى نفسك يا چين لأنه ليس هناك من سيـقوم عنك بهذه المهمة . ليس هناك من سيقوم بهذه المهمة لأنه لم يبق من يؤمن بهذه الأمور الآن . أوه ، قد يقولون انهم يفعلون ، وقـد يقتطعون بضعـة دراهم من أجرك كل أسـبوع ويلصقون بعض الطوابع على بطاقتك ليقنعوك،ولكن لا تصدقى

فلن تجدى انسانا يعيد النظر الى وجهك .انهم جميعا مشغولون جدا ، يرمحون معا فى وسط الطريق غير آبهين الى أين يذهبون طالما كانوا فى الوسط الملعون . (يكاد يغنى) أولاد الحرام المتهرئون . « أوه ، حين لا تكون هناك فتاة تشعر بوحدة شديدة . حين لا تكون هناك فتاة تغدو وحيدا مع نفسك » .

آرشى : أوشين . انك ستوقظ البولنديين .

فرانك : يجب أن يوقظك انسان ما . « تغدو وحيدا مع نفسك » .

آرشى : يجب أن تذهب الى فراشك .

فرانك : انت وهذه الكلبة الشقراء التى فى الكامبريدج.. انت وهى . كقرد على شجرة ، على ما أظن .. أنا ذاهب الى الفراش .

(يخرج وهو يغنى واضعا ذراعه على كتف آرشى وملوحا للآخرين) .

آرشى : ليلة سعيدة يا ولدى .

فرانك : (يغنى) أيتها الصخرة التى نحتت من أجلى منذ القدم .

دعينى أخبىء نفسى فيك .

آرشى : على أى حـــال لا يمكنك شراء بـــيرة باص فى تورنتو .

فوييـــا : اليك ، هذا ما تقوله : انها تتكلم عنا فيما يتعلق بسفرنا ودفع أجرة السفر الى آخره . وبعـــد هذا عن الوظيفة فى أوتاوا . الخبرة غير لازمة ، المهم أن يكون العمل فى يد واحد من أهلهم . انها تقول « لدينا جهاز تليفزيون واحد وعشرون بوصة وجهاز راديو الخ . والآن لدينا سيارة شـــيفروليه بل اير طـــراز ١٩٦٥ مزودة بناقل أوتوماتيكى وبكل الكماليات التى يطلبها الجميع هنا . أنا واثقـــة من أنك وآرشى ستستقران فى أقرب وقت وسيمضى كل شىء على خير وجه . (تطبق الخطاب بعناية) اعتقـــدت أنك تودين أن تسمعى ما قالته .

جـــين : نعم ، أشكرك .

فوييـــا : (بعد سكوت قصير) هل ستبقى سهران أكثر من هذا يا آرشى ؟

آرشى : أنا على وشك القيـــام .

فوييـــا : أعتقد أننـــا جميعا مرهقون . لا أســتطيع أن أحتمــل كل هــذه الانارة بعــد هــذا .
(لجــين) ليلة ســعيدة يا عزيزتى . سامحينى ان كنت قد أبديت بعض السخف .

جــين : انسى هــذا . ليلة سعيدة . سوف لا أوقظك .

فوييـــا : ليلة سعيدة يا آرشى .

آرشى : سآتى وأقول لك ليلة سعيدة .

فوييـــا : شكرا يا عزيزى . علينا أن ندبر له مكانا للنوم، أليس كذلك ؟

آرشى : ميك ؟ أوه ، انه يستطيع أن يشاركنى فى فراشى.

فوييـــا : نعم . انى أتوقع أنه سيكون فى غاية الارهاق ، الطفل المسكين . أوه حسنا ، لن يطول غيـــابه الآن . (تخرج) .

آرشى : لقد ذهبت الى كندا خلال الحرب .

جــين : أذكر ذلك .

آرشى : لم أستطع الحصــول على أى بـيرة باص فى تورنتو ، ويبدو أنهم يعتبرونها انجليزية جــدا (سكوت) انها ليست انجليزية جدا فى نظرى .

لست قادرا على هضمك فيما يختص بذهـابك الى ميدان ترافلجار ، هل تهتمين حقا بكل هذه الأمور ؟

جـين : كنت أعتقد ذلك وقتئذ .

آرشي : هذه حال الباص والنساء ، آه . ألم أقص عليك أبدا حكايتى مع الراهبات ؟ لقد نظرن الى نظرة واحدة فقط ... أستطيع أن أتذكر وجوههن البيضاء السقيمـة وعيونهن الصغيرة ... نظرن الى مرة واحـدة ، واذا بهن جميعـا وفى نفس اللحظة وبطريقة تلقائية جدا جدا يرسمن علامة الصليب على أنفسهن . رسـن الصليب على أنفسهن وكانت هذه أكبر تحية ظفرت بها طول حياتى . فلنأخذ كأسا آخر من هذا ، أتوافقين ؟

جـين : بالتأكيـد .

آرشي : لقد تشاجرتِ مع فوبيا الليلة .

جـين : لم يكن شيئا هاما . بدا أنها انقلبت علىّ فجأة.

آرشي : كان لى مع أمك موقف سخيف بسبب فوبيا .
(سكوت)

جـين : ما علمت بهذا .

آرشى : لا أعلم ما الذى كنت أتوقعه حقا ، ولكننى من وجه ما توقعت أن تقولى شيئا أكثر من هذا .

جين : وماذا تنتظر منى أن أفعل ... أعقد حلقة للمناقشة فى ميدان ترافلجار ؟

آرشى : كل أولادى يعتقدون أننى زير نساء . لم أعبأ أبدا بان أخفى ذلك على ما أعتقد ... وهذه هى الاجابة .

جين : لعله يجب أن نذهب الى الفراش .

آرشى : لا ، أبقى برهة . أظن أن لدى كلينا القابلية . كنت قد ولدت لتوك حين طرأ ذلك الموقف ، وكانت أمك كما تقولين شخصا ذا ... شخصا ذا مبدأ ، فعرفتْ كيف ينبغى للناس أن يتصرفوا ، ولم يكن فى هذه المسألة طريقان . لم تغفر لى أبدا على أى حال .

جين : لم تكن تحبها ...

(آرشى قد سكر فهو يغنى وينغم كلامه كما لا يستطيع الا سكران ؛ بطريقة موضوعيةومدروسة تقريبا كقائد أوركسترا يقود صوته) .

آرشي : بلى كنت أحبها . كنت مغرما بها مهما يكن معنى ذلك ، لا أدرى . على أى حال فقد ماتت بعد بضعة شهور ، وهذا ما كان . كانت أملك عميقة الاحساس بكل شيء ... أعمق بكثير مني. ولعله كان فى امكاننا أن نسير الأمور فيما بيننا. ألم أخبرك أبدا بأكبر شيء مؤثر سمعته فى حياتى ؟ كان ذلك عندما كنت فى كندا ... كنت أعبر الحدود خلسة فى بعض الأحيان لأقابل اناسا أعرفهم ، وذات ليلة سمعت زنجية تغنى فى بار . والآن سوف تبتسمين لهذا ، سوف تبتسمين حتى يطير عقلك المتعلم الانجليزى ، لانى أعتقد أنك لم تجلسى أبدا وحيدة شبه منطوية فى أحد البارات وسط جمع من الأغراب على مبعدة آلف ميل من أى شيء تعتقدين أنك تفهمينه . ذلك انى اذا كنت قد رأيت فى حياتى أى أمل أو قوة فى النوع الانسانى ، فانما كان ذلك فى وجه تلك الزنجية العجوز السمينة حين قامت لتغنى عن اليسوع أو شيء مشابه . كانت فقيرة وحيدة مضطهدة كما لم ترَىْ انسانا فى حياتك ، أو كما لم أره أنا من هذا القبيل . بل اننى لم أكن أحب ذلك النوع من الموسيقى .

غير أن منظر هذه العاهرة العجوز السوداء وهى تفجر قلبها غناء للعالم كله ، يقنعك فى الصميم بطريقة ما ، انه مهما يكن مبلغ ما يعانيه الناس ؛ النـاس الحقيقيـون ، من الرفس والركل والاحتقار ، فانه عديم الأهميـة طالمـا انهـم يستطيعون أن يقفوا فيطلقوا صوتا عاليا نقيـا طبيعيا مجردا كهذا ، فما من عيب فيهم ، انمـا العيب فى كل من عداهم . لم أسمع أبدا شيئا مثل هذا منذ ذلك الحين . لم أسمعه هنا قط . أوه ، لقد سمعت همسات منه فى احدى ليالى السبت فى مكان ما . أوه ، ولقد سـمعه هو ، أعنى بيلى . لقد سمعهم يغنون منـذ سـنوات بعيـدة ، هـذا العجـوز المسكين ، ولكنك لا تسمعينه الآن فى أى مكان ، ولا أظن أننـا سنسمعه مرة أخرى ، فلم يبق من عنده مثـل هذا الاحساس . كم أتمنى على الله أن أستطيع ، كم أتمنى على الله أن أسـتطيع أن يكون لى احساس تلك الكلبة العجوز السوداء بخدودها المكتنزة ، ثم أغنى . لو اننى فعلت شيئا واحدا كهذا فى حياتى كلها لكفانى . فهـو خير من أن تمضى فى عملك دون ضجة ، أو أن تفعلى شيئا

بنّـاء ، وخـير من كل مناقشاتك فى ميـدان
ترافلجـار !! كم أتمنى من الله أن أكـون تلك
الغرارة العجوز ، واذن لوقفت أهز صـدرى
الضخم صعودا وهبوطا وأرفـع رأسى عاليـا
وأصدر أعظم الضجيج جمالا فى هـذا العالم .
يا آلهى لو استطعت . ولكنى لن أفعل ذلك ،
فما عدت آبه لشىء حتى النساء أو بيرة باص .
هل تظنين انك تفعلين شيئا من هذا ؟ أتظنين ؟

جـين : لا أدرى . الحق اننى لا أدرى . لعلى سـأفعل
مثل ما تفعل تماما .

آرشى : بالطبع ستفعلين . واعلمى انك ستكونين آكثر
نجاحا فى هذا ، فأنت أكثر مهارة ، وانى لأظن
انك تحسين حقا بشىء ما أيضا ، على الرغم من
كل ما قيل عن ميدان ترافلجار . انت من النوع
الذى يسمونه عاطفيا ، تحملين كل استجاباتك
معك حيثما سرت بدلا من أن تتركيها فى البيت.
وعلى حين يجلس الآخرون على أيديهم تكونين
أنت الفتى المتحمس الجالس فى المؤخره يصفق
حتى يوجع كفيـه . ولكنك سـتضطرين الى
الجلوس على يديك كما يفعل كل الناس . أوه ،

لعلك تظنين اننى لست الا ممثلا عجوزا مهلهلا من ممثلى صالة الموسيقى ، يجب أن أواجه بالحقيقة ، مثل بيلى العجوز ، من أن الناس ما عادوا يلبسون الثياب الفاخرة والأحذية اللامعة . أنت تعلمين انك عندما تصعدين الى هناك يخيل لك انك تحيين كل أولئك الناس الذين حولك هناك ، ولكنك لا تحبينهم . انت لا تحبينهم ولن تقفى لتحدثى ضجة محببة . ولو تعلمت الأمر على الوجه الصحيح لاتخذت لنفسك آسلوبا . بوسعك أن تبتسمى ، ويحك تبتسمى ، وتلوحى انك أخلص وأجمل شيء فى الدنيا،ولكنك ستكونين هامدة متكلفة متهالكة، وستجلسين على يديك كما يفعل سائر الناس . انظرى الى هذا الوجه . انظرى اليه . هذا الوجه يستطيع أن يتفجر حرارة وانسانية ، يستطيع أن يغنى وأن يحكى أردأ الحكايات فى العالم وأبعدها عن الاضحاك لمجموعة كبيرة من الجذوع الميتة الخاوية دون أى اهتمام ، دون أى اهتمام .دون أى اهتمام لأن ... انظرى الى عينى . اننى ميت وراء هاتين العنيين . اننى ميت تماما مثل تلك الجموع الجامدة الزائفة التى

هناك . لا اهتمام لانى لا أشعر بشىء ؛ ولا هم
يشعرون ، كلانا ميت كصاحبه . اخبرينى :
اخبرينى بشىء. أريدك أن تخبرينى بشىء ، ماذا
عساك تقولين فى رجل من مثل سنى يتزوج
فتاة من مثل سنك أو قريبة من سنك ؟
لا تنزعجى . لقد قلت لك اننى لا أحس بشىء .

جين : انك لا تستطيع !! لا تستطيع أن تفعل شيئا
كهذا !!

آرشى : لقد ابتعدت عن أبيك العجوز فترة طالت قليلا .
لم نر بعضنا كثيرا ، أليس كذلك ؟ حسنا ،
لا بأس .

جين : لعلك لست جادا !! انك لا تستطيع أن تفعل
هذا بفوبيا ... لا تستطيع طلاقها .

آرشى : الأطفال !! (يضحك) الأطفال !! انهم كقاعة
الموسيقى اللعينة.لا تقلقى على رجلك العجوز...
انه ما زال قلقا بعض الشىء على ميك الصغير ،
أظنه كذلك على الأقل . لقد قلت لك انه لا شىء
يحرك احساسى . وكما قال الرجل ، لقد دفعت
شلنا وست بنسات ... أتحداك أن تسلينى !!
دع أى واحد هناك يقف ويمثل فاصلا ، دعهم

يقفــون ، لا يهمنى مبلغ جــودته . أن آرشى
العجوز الميت وراء عينيــه جالس على يديه ،
وقد فقد الاستجابة وهو على الطــريق . انت
لا تظنــين اننى كنت ذا جاذبيــة جنسية تلفت
النظر الى ، أليس كذلك ؟ انت لا تظنين اننى
كنت ذا جاذبيــة جنســية تلفت النظــر الى ،
أليس كذلك ؟ حسنا ، عندى محاولة يا سيدتى.
عندى محاولة ، أليس كذلك ؟ عندى محاولة .
فتاة البار هذه التى فى الكامبريدج . هذه الفتاة
التى قلبت رأس بيــلى المســكين العجــوز فى
الكامبريدج ... لقد نلتها ، فى غفلة منه ...

(تدخل فوبيــا) .

فوبيــا : ظننتك قد أحضرت شخصا ما هنا . لقد نادوا
من أسفل الدرج . هناك شرطى بالبــاب يسأل
عنك يا آرشى .

آرشى : انه محصل ضريبــة الدخل . اخبريه باننى كنت
فى انتظاره . كنت فى انتظاره منذ عشرين سنة.

فوبيــا : (لچين) أظن أنه يبحث عن شخص ما هنا ...
ماذا تظنينه يريد ؟

آرشى : ليس الا أنا وابنتى چين ... التى أنجبتهـا من
حبى الأول . لمـاذا لا تعودين الى لندن ؟ قولى
لى ، ألست مسرورة بانك عادية ؟ لقـد عشت
طول حياتى أعمل سبعة أيام فى الأسبوع ، أليس
كذلك يا فوبيا ؟ أعمل سبعة أيام فى الأسبوع .
كنت دائما فى حاجة الى قفزة آخر النهـار ...
وأوله كذلك عادةً . كمجرد قطعـة من لحـم
الخنزير على اللوحة . حسنا ، انها مشكلة كل
انسان ما لم تكونى مثل ميك خالية من المشاكل.
نعم ، كان عنده مشكلة ولكنه الآن فى طريقه .
نعم أنه ولد بلا مشاكل . أنا نفسى رجل أعمل
سبعة أيام فى الأسبوع ، ومرتين فى اليوم .
يا فوبيا المسكينة العجوز ، لا يبدو الهم عليك
هكـذا يا حبيبتى . اما انهـم يفعلونهـا ولا
يستمتعون بها، أو أنهم لايفعلونها ولا يستمعون
بهـا . لا يبد الهم عليك هكذا يا حبيبتى . لقد
سـكر آرشى مرة أخرى . انه ليس الا محصل
ضريبة الدخل .

فوبيـا : لقد نزل فرانك ...

فرانك : (داخلا) أولاد الزنا !! أولاد الزنا المتعفنون !!
لقد قتلوه . لقد قتلوا ميك . هؤلاء الخنازير

القـــذرة ... لقـــد قتـــلوه . أوه ، أولاد الزنا المتعفنون !!

آرشى : (يغنى ببـــطء) أوه يـــا ربى ، لا يهمنى أين يدفنون جثمانى ، لا ، لا ، يهمنى أين يدفنون جثمانى . لأن روحى ذاهبة لتحيا مع الله .

ســـتار

نهـــاية الفصل الثـــانى

(٩)

(موســـيقى جاز . الضوء على فرانك أمام البيـــانو) .

فرانك : أعيدوا جثمانه وادفنوه فى انجلترا
أعيدوا جثمانه وادفنوه هنـــا
أعيدوا جثمانه فى طائرة
ولكن لا تكلمونى أبدا .
تلك الملاعب التى فى ايتون
هى فى الحق سبب هزيمتنا .
ولكن لا فائدة فى الحزن
لانها هى بريطانيا التى نؤمن بها .
ولذا أعيدوا جثمانه وادفنوه هنا .

أعيدوا جثمانه فى طائرة ...
ولكن لا تكلمونى أبدا .

(يتلاشى) .

(١٠)

بيلى . فوبيا . جين . فرانك . بيلى وفوبيا يلبسان السواد والآخران يلبسان شريطا أسود على الذراع .

جين : حسنا : هذا ما حدث . (تتناول صحيفة) هل يستطيع أى انسان أن يخبرنى الام انتهى الأمر كله ؟ (سكوت)

آرشى : كانت عمتى تقول نفس الشيء ، « نعم ، لقد أرسلوه الى حيث لا رجوع » . كانت تقولها دائما كل مرة . (لبيلى) أليس كذلك ؟

بيلى : يا لروزى العجوز المسكينة .

آرشى : كنت أتساءل ماذا عساه يحدث اذا لم تقلها .

بيلى : كانت روزى العجوز وأنا نقضى أوقاتا طيبة معا. وكنا كثيرا ما نخرج للنزهة معا . قبل أن تتزوج كلانا .

جين : حسنا ، أظن الأمر يصيب انسانا ما بضربة .
هل أنت بخير يا فويبا ؟

فويبا : أنا بخير يا عزيزتى . متعبة قليلا .

بيلى : أى مكان كانت لندن اذ ذاك لقضاء وقت طيب.
أحسن مكان فى الدنيا للضحك . كان الناس
دائما على استعداد لأن يضحكوا ويرحبوا بك.
كانت أحسن نظارة فى العالم .

(يعبر الى يسار الوسط ويحضر كرسيا
ويجلس الى المنضدة) .

آرشى : كنت فى قرية صغيرة فى دونجال ذات مرة ، فى
الرحلة الايرلندية كما تذكر . وفى صباح يوم
وصولنا هنالك جاءنى رجل وقال : « أوه ، نحن
من كبار دارسى الدراما هنا . من كبار دارسى
الدراما . وناقدونا المسرحيون يستطيعون أن
يمسحوا أى انسان ... أى انسان » . واتضح
أنه حداد القرية . ثم قال ، قال « اذا نجحت
أمام النظارة هنا فستنجح أمام أى نظارة فى
العالم » . وكان هذا حقا أيضا . فقد خرجت
بضربة على عينى .

بيلى : فى بعض الأماكن لا يفعلون شيئا الا أن يجلسوا ويحملقوا فيك . يجلسون ... لا غير . أما لندن فقدكانت هى المكان. روزى العجوز... كانت امرأة جميلة . أنا مسرور لأنها ليست هنا الآن .

جين : (تفتش فى الصحف) كيف تستطيع أن تنافس هذه الأشياء ؟

فرانك : ليس ذلك فى الاستطاعة .

جين : لماذا لم يحصل انسان على صورة لك وأنت توقد الغلايات ؟

آرشى : لا أعتقد أن ميك كان سيهتم بها جدا .

فرانك : كلنا مرهقون .

جين : كلنا مرهقون حقا . كلنا مرهقون . كل واحد منا واقف حول المكان ، يتسكع دون أى مقصد، منتظرا أن يؤخذ بأى أمر قد يسمحون بوقوعه لنا بعد ذلك .

آرشى : بحق يسوع ، لا تشرعى فى أن تصيرى عاطفية...

جين : لست أتوقع أن تصير كذلك .

....

آرشى : هذا صحيح .

جـين : ولكن فرانك مختلف ... على الأقل أرجو أن يكون كذلك . ليس عليك أن تخاف يا فرانك. لست فى حاجة لأن تقلق من أن تكون عاطفيا كخطيبى الموهوب . لن تموت بسببها . قد تظن أنك تستطيع ، ولكن لا .

آرشى : كان ميك العجوز يشبه جراهام الى حد ما ، فى الواقع كان يبدو أنه يعرف ما يريد والى أين هو ذاهب .

جـين : أكان كذلك ، هذا أمر مهم ...

آرشى : أذكر أنه كانت له علاقة بفتاة تسمى سيلفيا ، كان فى حوالى السادسة عشرة اذ ذاك .

جـين : ماذا جرى لك يا آرشى ؟

فرانك : لماذا لا تتركيه وشأنه ؟

آرشى : هذا صحيح ، لماذا لا تتركى رجلك العجوز وشأنه ؟

جـين : أوه ، لقد تركتك وشأنك تماما .

آرشى : هل أقول لكم ... ظللت طول حياتى أبحث عن

شيء ما . ظللت أبحث عن نوع من البيرة يمكنك أن تشرب منه طول المساء دون أن تجرى الى الخارج كل عشر دقائق ، وأن تشرب منه حتى دسكر دون أن تشعر بالسقم ، وكل هذا مقابل اربعة بنسات . والآن فان الرجل الذى يستطيع أن يقدم لى كل هذا سيظفر بصوتى فى الانتخابات حقا . سيظفر به حقا . أوه ، حسنا ، لأن أصنع امرأة أيسر عندى على الدوام من أن أصنع رأيا .

جين : أتعلم يا آرشى أنك زنديق بعض الشيء ..

فوبيا : چين ...

جين : أنت كذلك حقا ... انك زنديق تمشى على ساقين .

آرشى : ألأنى لا أهتم بشيء سوى البيرة ؟ اسمعى يا بنيتى ، سوف تكتشفين فى النهاية أنه لا يوجد انسان يعير أى اهتمام لشيء الا اذا كان حاجة حيوانية صغيرة . وبالنسبة لى هذه الحاجة الحيوانية الصغيرة هى البيرة . والآن لماذا لا تستطيعين الكف عن مهاجمة كل انسان ؟

جين : لا أستطيع .

آرشی : ماذا تظنين نفسك ... جرعة من الأملاح ؟

جين : هذا طبعى .

آرشی : حسنا ، ما آمنت فى الواقع أبدا بكل هذه النظافة الداخلية على كل حال. هل تركت زجاجة من البيرة هنا الليلة الماضية ؟

فوبيا : لا أظن هذا يا عزيزى .

آرشی : اذا لم تكونى على حذر يا چين فان الناس، سيشرعون فى اطلاق النعوت عليك فى أقرب وقت ، واذا ذاك سوف تصبحين مجرد لا شىء. ستصبحين لا شىء كبقيتنا .

فوبيا : سيحضر لك فرانك بعض البيرة . لقد بقى شىء منها فى المطبخ . هل تسمح يا عزيزى ؟

فرانك : بالتأكيد . (يقف ويعبر عن يسار الكرسى)

جين : لا يمكن لنا جميعا أن نقضى وقتنا فى تسمير حقائبنا فى الأرض والتدلى من النافذة .

آرشی : وتسليك المجارى .

جين : انك مثل الباقين ولكنك أردأ حالا ... انت تستطيع تغطية نفسك بمجرد عدم ابداء

الاكتراث . (وتشير الى الصحف) تظن أنك
اذا لم تبد الاكتراث فانك لا يمكن أن تحقر ،
ولذا فانك تفرغ حياتك فى الصراخ بكلمات من
أربعـة حروف مكتفيـا بالأمل فى أن الأمور
ستصلح بطريقة ما .

فرانك : اتركيه وشأنه ، فهـو ليس الا مغموما مثلك .
ولذا اسكتى .

جـين : سأقص عليكم قصـة آرشى رايس . حسنا .
هل تريدون العناوين الرئيسية أولا ؟

آرشى : لم أحب القسيس على كل حال . لقـد كرهته
حقـا . كان كأنما يريد أن يطـرد الجميـع ،
هل لاحظت ذلك ؟

جـين : لا تخادعنى . انك لا تستطيع أن تخدع قطة .

آرشى : استمرى ... اشتمينى ، لا يهمنى . شىء واحد
اكتشفته منذ زمن طويل ، هو أن معظم الناس
لا يعرفون أبدا متى يشتمون . وأن كثيرا من
الناس يجمعون كثيرا من المـال باستغلال هذا
المبـدأ . انى متبلد كالبرميـل فى الحقيقـة .
اعلمى انى لست خيرا من بقيتهم .

جـــين : أوه الآن لا تشرع فى التواضع ...

آرثى : اننى متواضع . أنا متواضع جدا فى الحقيقة . ما زالت بى أثارة" من الحقارة تدور فىداخلى. وما أظن بك شيئا منها .

جـــين : وهذا كل ما فى الأمر .

فرانك : ما الذى جرى لها ؟

آرثى : لا تســألنى يا ولدى ، لا تســألنى . ما حللت لغزا طول حياتى أبدا .

جـــين : ليست لديك المقدرة . كنت دائم الانهماك فى كره كل تلك الأشباح الغامضة التى فى الظلام العظيم ، أليس كذلك ؟ لقد كنت ماكرا حقا . (لفرانك) انى أريدك أن تعرف الحقيقــة فى شأن أبيك .

فرانك : اسمعى يا چين ، لقد دفن ميك منذ قليل . لقد دفن ولا يريد أحد أن يتحــدث فى ذلك أو أن يدخل فى شجار .

جـــين : ماذا تريــد ، دقيقتى صـــمت ؟ ان أباك ليس كريما وواعيا وعطــوفا فحسب ... أنه لا يأبه

بأى انسان . انه يســاوى مقــدار بنسين من لا شىء .

آرثى : نعم ، لا بد أن أقول أن هذا خير وصف لى .

جــين : لست بحاجة لأن تنظر الى . لقد فقدت أنا أخا أيضا . لمــاذا يريدنا النــاس أن نجلس هنــا ونكتفى بلف المسألة فى حجورنا ، لمــاذا يموت الأولاد أو يوقدون الغلايات ، لمــاذا تقع بنــا هذه الأشياء ، وما الذى نأمل أن نحصل عليه منها ، وفى مساندة ماذا هى كلها ... أهى كلها حقا من أجل يد تلبس القفــاز وتلوح لك من عربة ذهبية ؟

فوبيــا : أظن اننى سأذهب لأنام . (لجين) لقــد كان طيبا معى على الدوام .

فرانك : هل أحضر لك قرصا من الاسبرين ؟

جــين : أن أحدا لا يصغى لأحد .

فوبيــا : شكرا يا عزيزى ، اذا سمحت . (لجين ببساطة) لقــد كان طيبــا معى على الدوام ، مهما يكن ما فعله ، على الدوام . (تخرج)

فرانك : سأحضر لك تلك البيرة .

بيــلى : عندى دائما ابريق منها على المنضدة فى البيت. معى المفاتيح هنا .

جــين : (لآرشى) لا تستطيع أن تفعلها بها . لن أدعك.

بيــلى : نعم ها هى.

آرشى : يريد أن يعرف ما اذا كنت قد جددت التذكرة . كل شىء على ما يرام ... حصلت على ثــلاثة شهور تجديدا لها .

بيــلى : آه ؟ (لجين) هناك .

جــين : ما هــذا ؟

بيــلى : ماذا جرى ... هل آذانكم اللعينة فى حاجة الى الحقن ؟

فرانك : أتريد شيئا من البيرة يا جدى ؟

بيــلى : أن أحدا لا يصغى لأى كلمة لعينة تقولها .

فرانك : قلت هل تريد شيئا من البيرة ؟

بيــلى : تلك هى العلة هــذه الأيام . كل انسان منهمك جدا فى الرد والكلام على هواه بدلا من انهاء الأمر والعمل بما يقال له . لا ، أنى ذاهب الى

الفـــراش اذ على أن أبكر فى الخروج غـــدا .
(لآرشى) فى أى وقت قلت ؟

آرشى : حوالى التاسعة .

فرانك : أين أنت ذاهب ؟

بيــلى : أبوك وأنا لدينا عمل معا . كان غريبا كل هؤلاء الناس الذين خلعوا قبعاتهم لميك الصغير اليوم.

فرانك : معظمهم لم يكونوا لابسين قبعات على أى حال.

بيــلى : فى أيام شبابى كان كل رجل ــ وكان كل رجل يلبس قبعـــة فى تلك الأيام ، لـــوردا كان أم جزارا ــ كان كل رجل يرفع قبعته عندما يمر بقبر الجنــدى المجهـــول ، حتى فى ســـيارات الأتوبيس . وفى هذه الأيام راقبت الناس الذى يمرون به غـــير ملقين حتى مجرد نظـــرة ، ولو نزعت عنه الأعلام فانى أتوقع أنهم سيجلسون عليه ويأكلون ساندوتشاتهم .

آرشى : كنت الآن أفكر فى ميـــك الصغير وســـيلفيا . كانت طفلة جميلة جذابة . وانى لأتساءل ماذا تفعل الآن . وأتساءل هل قرأت عنه فى الصحف حيث صار بطلا وطنيا وقتـــل . ما أظن انهـــا نسيته . هل تظنون ذلك ؟

فرانك : انى لأظن هــذا . هل أستطيع أن آخذ شــيئا من بيرتك ؟

آرشى : تفضل . انى لأذكر كيف قلقت على ســيلقيا . لم استطع أن أعرف الحقيقة من منيك الصغير ، وظننت أنها قاصر وهذا ما أقلقنى بعض الشىء، فحاولت أن أحادثه فى ذلك ولكنه كان يظن بى على الدوام نوعا من الغباء ، هذا صحيح كما تعلمون . أوه ، لم أكن أكترث لهــذا بل كنت أحبــه . (لجين) الحق أنه لم يأخــذنى على محمل الجــد ، فهمهمت وقلت له آخر الأمر : « حسنا ، اسمع يا ولدى ، من الواضح اننى لست بحاجة الى أن أوصيك بأن تكون حذرا». فلم يفعــل الا أن ابتسم فشعرت فجــأة بأننى كقسيس منهار . ولذا قلت له : « حسنا ، على كل حال انت تعلــم ما هو سن الرضا ، أليس كذلك ؟ » فجلس هناك بهذه الابتسامة المريعة على وجهه وقال « ستة عشر » .

جــين : الى أين ستأخذ بيلى غدا ؟

آرشى : أظن أننى مضطــر للعودة الى برايتــون حيث أصير من جوابى الشاطىء .

فرانك : (لجين) هل لديك اسبرين ؟ يبدو أنه لا يوجد شيء منه هنا .

آرشى : ادلنز ... هذا هو المكان . فى أقصى برايتون .

جين : (تعطى الاسبرين لفرانك) ألا تعلم ماذا يحاول أن يفعل ؟

آرشى : يمكنك أن تسكر سكرة طيبة من بيرة السايدر عندهم ببضع بنسات .

فرانك : لماذا لا تتركهم فى حالهم ؟

آرشى : لم أذقه منذ سنين . بكم كان ؟

جين : انه يفكر فى تطليقها . انه يفكر فى أن يطلق فوييا . لقد رأيتها ... تلك البنت التى يريد أن يتزوجها . انه مجنون ، هذا هو فى حقيقته . ما الذى سيحدث لها ؟ (تومىء الى الدور الأعلى).

فرانك : ما الذى سيحدث لكل منا ، اسمعى يا جين. يا حبيبتى ... يا حبيبة قلبى : انك لن تستطيعى تغيير أى انسان ...

جين : هل رأيتها ؟ لقد ضبطتهما معا أمس فى الروكليف، وحققت النظر منها ، انها عذراء محترفة .

آرشى : انى أتساءل كيف تكون الآن . (لبيــلى) كم كان ثمنها ؟

فرانك : الأفضل أن آخذ هذه (الاسبرين) اليها

بيــلى : ما هى ؟

آرشى : بيرة السايدر أيها المخرف العجوز .

بيــلى : وكيف لى بحق الجحيم اللعين أن أعرف ؟ انى لم أشرب هذا الشىء أبدا .

آرشى : نعم ان بها بعض الحموضة على ما أظن .

بيــلى : حوالى بنس على ما أعتقد ، بنس للكوز .

آرشى : أتوقع أن يكون حوالى شلن الآن .. (ســكتة قصيرة) ويمكن شرب البيرة كذلك .

جــين : (لآرشى) انهــا جميلة ، انهــا مدللة ، انهــا مغرورة ، وانها غبية . وربما كان أبواها غبيين . ولا بد أن يكونا كذلك . لا بد أن يكونا غبيين اذ أنجباها ... من لا شىء من طراز سنة ١٩٥٧ .

آرشى : هذا صحيح .

جــين : كم عمرها ؟

آرشى : عشرون سنة .

جين : عشرون . انهما لغبيان على ما أعتقد وسيسمحان لها حتى بالزواج منك .

آرشى : وللعلم ، أعتقد انى لم أصادف سوى امرأة واحدة ذات عاطفة قوية ، من النوع الذى أسميه ذا عاطفة قوية حقا . ولقد تزوجت زواجا سعيدا . كان اسمها ايفى .

جين : أعتقد انك تفكر فى حملهم على أن يقدموا لك بعض المال أيضا .

آرشى : كانت هذه هى الفكرة .

جين : انك ستحملها على أن تضع حلقة فى أنفك وتوهم نفسك بأنك لا تحس بها لأنه لم يعد يهمك شىء . كما لا يهمك أى انسان . تظن أنك ان لم تستطع أن تنالها فلن يستطيع ذلك غيرك !! وماذا عن فوبيا ؟

آرشى : ايفى وليامز ، كان هذا هو اسمها . مسز ايفى وليامز . مسز ايفى وليامز .

بيلى : حسنا ، أنا ذاهب . من الذى سنقابله : روبنز ؟

بيــلى : كلاين .

بيــلى : شارلى كلاين . شارلى كلاين العجوز . كنت فى أول فرقة متجولة شكلها فى حياته ، أتعلم هذا ؟

آرشى : فى الثانية عشرة والنصف .

بيــلى : كان أصغر من چينى هــذه . وجعلته عضوا فى النادى الرياضى الوطنى . أنا الذى أدخلته .

آرشى : انه ابن حرام قوى .

بيــلى : أوه : شارلى يجب أن يكون على ما يرام . أنا الذى جعلته يوقع تعاقدا مع ادى درامر . الفنان العظيم ادى . ظل يكسب ألفا كل أسبوع لمدة خمس وعشرين سنة دون أن يتغــير . انه ولد طيب . هو من ذلك الطراز المعتــدل . لم يكن واحدا منا نحن القدامى الحقيقيين ، كما أنه لم يكن وحدا من أولئك المحدثين الذين يقدمون أعاجيب الخمس الدقائق فى الميكروفون . ليست عندهم الشخصية الحقيقيــة الآن . كان ادى ذا أسلوب دائما ولم تكن هناك أى شبهة أذى فى أى شيء يفعله . كان لنا جميعا أسلوبنا الخاص، وأغانينا الخاصة ... وكنا جميعا انجليز . والأهم

من هــذا اننا كنا نتكلم الانجليزية . كان الأمر مختلفا . كنا جميعا نعلم ما هى القواعــد . كنا نعلم ما هى القواعــد وحتى لو قضينــا نصف أوقاتنا فى جعل الناس تضحك منها فاننــا لم نقترح أبدا بصفة جدية أن يحاول أى انسان خرقهــا . الممثل الحق هو رجــل حق ، وكل ما يحتاجه هو قطعــة من القماش تدلى وراءه وهو قادر بعد ذلك على أن يجعــل المشاهدين ملكا له لمدة نصف ساعة . انه يشبه عامة الناس وانما هو أكثر شــبها بهــم من أنفسهم ، اذا فهمتنى . حسنا ، ما زال ادى هناك على مايرام. (لجين) كنت دائما أقــول له : بل كنا دائمــا نقول : « ادى ... كن طيبا على الدوام مع من تلتقى بهم فى صعودك لأنك قد تعود فتلتقى بهم فى هبوطك » . ادى العجوز ، انه واحــد من العظماء الحقيقيين كما ينبغى أن أقول . ينبغى أن أقول بل لعله الأخير . نعم ، ينبغى أن أقول لعله الأخير .

(يخرج) .

جــين : ماذا أنت فاعل ، ماذا ستفعل به ؟ لست تنوى أن تعيده مرة أخرى الى المهنة ؟

آرشي : روبنز وكلاين الساعة الثانية عشرة والنصف من صباح غد ...

جين : انك ستقتل هذا الرجل الشيخ لمجرد انقاذ فرقتك الهزيلة المهلهلة التى لا خير فيها ...

آرشي : ليس لمجرد انقاذ فرقتى الهزيلة المهلهلة التى لا خير فيها ، بل لانقاذ أبيك المهلهل الذى لاخير فيه من دخول السجن . قد لا يقبل الناس على رؤية آرشي ولكن لعلهم ما زالوا يتذكرون بيلى رايس . انه أمر يستحق التجربة على كل حال .

جين : أأنت مقدم على هدم هذا أيضا ؟ انه الشخص الوحيد فينا الذى عنده أى كرامة أو احترام لنفسه ، انه الشخص الوحيد فينا الذى عنده أى شيء على الاطلاق ، وأنت مقدم على قتله . ستأخذه الى ... من ذلك ؟ .. روبنز وكلاين غدا فى الثانية عشرة والنصف ، وستجعل مستر روبنز ومستر كلاين يوقعان شهادة وفاته . ما الذى تحمل نفسك على الاقدام عليه الآن ؟ كيف استطعت بالله أن تقنعه بأن يفعل شيئا كهذا ؟ ما الذى جرى له ؟ ما الذى أصاب غريزة المحافظة على الذات عنده ؟

آرشى : انه يحس بأنه مدين لى بهذا .

جين : مدين لك !! مدين لك !! بيلى ليس مدينا لك ولا لأى انسان بأى شىء .

آرشى : انظرى ، قبل أن تشغلى نفسك بمحاضرتى عن النظافة الداخلية ذهب بيلى وفعل شيئا ما . لقد ذهب فقابل والدى صديقتى الفتاة ، العذراء المحترفة التى رأيتها فى الروكليف . ذهب وقال لهم انى رجل متزوج ذو ثلاثة أولاد كبار . ثلاثة معترف بهم ... على أى حال . غير أنى لا أظن بيلى العجوز كان فى حاجة الى أن يذكر بقيتهم .

جين : وهل أفسد المسألة ؟

آرشى : أوه ، نعم ... نهائيا . كما ترين لم أكن قد ذكرت لهم شيئا عن ... عن فوبيا ولا عنكم جميعا .

جين : لا ، أعتقد أنك ما كنت لتقول .

آرشى : واذن فأنت ترين أنك لم تكونى مخطئة يا چينى يا حبيبتى . فى شأن فوبيا على أى حال ... وآرشى العجوز سوف لا يظفر بعيشه آخر الأمر .

(١١)

آرشى : سيداتى وسادتى . بيلى رايس لن يظهر الليلة . بيلى رايس لن يظهر مرة أخرى . كنت أتمنى أن أغنى أغنيــة له ... فى مكانه . أغنيــة وداع ، ولكننى نسوء الحظ لا أستطيع . ولن يستطيع أحد . لن يستطيع واحد منا على كل حال .

(يخرج) .

(الستار الخفيف الأمامى . موكب جنازة من آرشى وفوبيــا وجين وفرانك وجراهام والأخ بيل . يجتمعون حول نعش فى منتصف المسرح مسجى بالعلم البريطانى وعليه قبعة بيلى وعصاه وقفازه . فى الخلفية لقطـــات من الأغانى القديمة والأنغام ودقة البانجو) .

تلاشى الى :

(١٢)

(الى اليســار فى المقدمة ضوء يغمر آرشى والأخ بيل . الى اليمين فى المقدمة ضوء على جين وجراهام . الأخ بيل يبدو كمحام بارز ناجح جــدا ، كمـــا هو الواقع . جراهام دود قـــد يكون مثله بعد ثلاثين سنة بشرط أن يكون ناجحا . هنالك كثير من هؤلاء ...

حسنو الهندام ، مطمئنون ، نالوا قسطا
وافيا من التعليم ، كفاياتهم العاطفية
والعقلية محدودة الى درجة امكان اطراحها
من الناحية العملية . لديهم عجز ساحق عن
أن يلائموا أنفسهم مع أى انسان فى ظروف
تختلف حتى بأقل القليلمع ظروفهم الخاصة.
جراهام دود لا يحتاج الى وصف كثير . اذا
كنت لا تستطيع أن تتميزه فمرجع ذلك الى
سبب واحد . المحاورتان التاليتان مستقلتان
ولكنهما تجريان معا) .

جراهام : بكل اخلاص يا جين ، أنا لا أقصد أن أكون فظا . أعنى أن من الفظاظة أن آتى فأقولها . ولكنى لا أستطيع أن أرى ما الذى يمكن أن يكون صفة مشتركة بينك وبين أى منهم .

جين : لا تستطيع ....

جراهام : نعم أنهم أسرتك ، وما الى ذلك ، ولكن فى آخر الأمر تجىء نقطة ، تجىء نقطة فى الأمور ...

آرشى : لكم كان شيخا طيبا . حقا لقد كان . أتدرى من قال هذا ؟ شارلى كلاين . شارلى كلاين قال ان بيلى الشيخ كان أظرف عجوز فى المهنة .

جراهام : ... فقد لا يبقى عليك أى مسئولية للناس .

آرشى : ومازال آرشى ممثـــلا من الدرجــة الأولى .
مازال ممثلا من الدرجة الأولى .

جراهام : ... انها بيئتك وقد نشأت فيها ، ولكن هنـــاك
أشياء أفضل وأجدر بالاعتبار فى الحياة .

آرشى : لقد كان واحدا من العظماء ، الحقيقيين .

جـــين : آسفة يا جراهام . انى باقية مع فوبيـــا . قلت
لك أننى اتخـــذت قرارى فى الواقع قبـــل أن
أســـافر . لا أستطيع أن أتزوجك ، وما عدت
راغبة فى ذلك . وعلى أى حال فان عـــلى أن
أبقى هنا . فالآن وقد مات بيلى أصبحت فوبيا
فى حاجة الى من يبقى بجانبهـــا . وفرانك راحل
الى كندا فى ظرف أسبوعين ....

آرشى : جين تعتقد انى قتلته .

الأخ بيل : انك لم تقتله يا آرشى ، فالناس لا يقتلون بهذه
السهولة . لا أظن هذا .

جـــين : نحن نعيش بأســـلوبين مختلفـــين . أنت وأنا
لا تتنفس حتى بنفس الطريقة .

الأخ بيل : اسمع يا آرشى ، هـــذه آخـــر فرصة أمامك . أصبح من المحتم أن تكون فى كندا . انت وفرانك وفوبيا ، تستطيعون جميعا أن تسافروا معا . لقد حجزت كل تذاكر الســـفر لكم وهى معى فى جيبى . وهذه تذكرتك . فى وسعكم أن تذهبوا وتبدأوا حياة جديدة أنتم الثلاثة .

جراهام : أوه ، ما هـــــذا الا كلام فارغ . أنت لست مختلفة عنى . لقـــد كنت تحبيننى ، أنت قلت هـــذا . ولقـــد استمتعنا بأنفســـنا معاً ، وفى استطاعتنا أن نصنع حياة طيبة ، فأمامى مستقبل محترم موطأ ، وسيكون لنا كل ما نحتـــاجه ، عودى معى يا چين .

آرشى : انك لا تستطيع الحصـــول على بيرة باص فى تورنتو . لقد جربت ذلك .

جـــين : ألم تركب مرة قطار سكة حديد هنا ، قطارا من برمنجهام الى وست هارتلبول ؟ أو ذهبت من ما نشستر الى وارنجتون أو ودنس ، ثم خرجت ومشيت فى الشارع وعلى أحد الجانبين قد ترى مصنعا كيمائيا وعلى الجانب الآخر حظائر بضائع السكة الحديد ، وبعض الأطفـــال يلعبون فى

الشارع . قد تصل الى امرأة واقفة على عتبة باب بيتها . انها ليست عتبة باب فى الواقع لأنك تستطيع أن تصل رأسا من الشارع الى حجرتها الأماميه . ماذا يمكنك أن تقوله لها ؟ أى نبأ حق ، أى رسالة تستطيع أن تحملها اليها ؟ هل تقول لها : « سيدتى ، هل تعلمين أن المسيح مات على الصليب من أجلك ؟ » .

الأخ بيل : هذه التذاكر لك يا آرشى فخذها . سأدفع كل ديونك ، وسأسوى كل شىء ، واستوثق من أنه لن يحدث شىء .

جسين : وعندئذ تنظر المرأة اليك وتقول : « أوه نعم ، لقد سمعت كل ما قيل عن هذا » .

آرشى : ما الذى يحدث اذا لم أسافر ؟

الأخ بيل : لن أفعل شيئا لك لتبقى هنا يا آرشى . لا شىء بعد ذلك . كل ما فى الأمر اننى أخشى أن سيكون عليك أن تحتمل النتائج . فاما كندا واما السجن .

آرشى : أتعلم أننى اعتقدت على الدوام أن لابد من أن أدخل السجن . وانى لاظن أنه لابد أن يكون

أمرا مسليا . فمن المؤكد انى سأقابل شخصا أعرفه . أتعرف ماذا كانت تقوله صاحبة البيت فى فولهام عنك ؟ كان من عادتها أن تقول : « انه يبدو كما لو كان محافظ المدينة » . كانت دائما تقولها ... دون نسيان .

جراهام : كل ميسر لما خلق له . أليس هذا ما كان يقوله أبوك ؟

آرشى : انك لا تستطيع أن تحصل على أى شىء من مكتب العمل هذا على كل حال . يجب أن يكون عندهم فى هذا المكان ضجة أكثر من أى مدينة أخرى فى انجلترا . أوه ، حسنا شكرا لك على أى حال ، حفلتان أخريان فقط ، مع أن الأمر يدعو للرثاء ... كان بودى أن ، بودى أن أسجل الواحدة والعشرين ضد محصل ضريبة الدخل . لن أتمكن من بلوغ الحادية والعشرين الآن . لقد كان شيئا مفرحا أن تحصل على مفتاح الباب بطريقة ما .

جين : وها نحن ، نحن وحيدون فى هذا الكون ، وكأنما لا اله هنا لك ، لكأنما بدأ الأمر كله بشىء بسيط بساطة شعاع الشمس اذ يضرب فى قطعة من

الصخر . وها نحن أولاء لا نملك الا أنفسنا .
ومع هذا فان علينا أن نمضى بها . نحن لانملك
الا أنفسنا .

الأخ بيل : أنا آسف يا آرشى ، ولـكنى قـد تخليت عن
محاولة الفهم .

(يتلاشى الضـــوء) .

(١٣)

(روكا آندرول . تابلو عراة وراء ستار
الفصل الأول الخفيف . بريتانيا . بعد هذا
موسيقى آرشى رايس، الواحدة والوحيدة ،
تقـــاطع البروجرام . يظلم المسرح . ضوء
كاشف على الزاوية المناسبة ويدخل آرشى.
يغنى بعض فواصل من « نحن جميعا فداء
العجوز الطيبـــة رقم ١ ») .

آرشى : « نحن جميعاً فداء للعجوز الطيبة رقم واحد
يا انجلترا العجوز الطيبة ، أنت لى كقدح الشاى
ولكننى لا أريد مساواة باهتة .
لا تدعوا مشاعركم تتوزع
ولكن اذكروا ان الاحسان يبدأ داخل الوطن .
سنحافظ عليك ونرفعك أيها العلم .

أوه ، فرقم واحد هى الواحد الأوحد عندى
نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحد .

لقد جئت الآن لأخبركم عن الزوجة . لقد عادت الى زوجها . عادت رأسا . لا تصفقوا بشدة فنحن جميعا فى بناء قديم جدا . نعم قديم جدا . قديم . وماذا عن هذه . وماذا عنها ، آه ... هذه السيدة التى تلبس الخوذة . أظن أنها تتمايل قليلا ، اذا سألتمونى . انها تريد شيئا من لحم البقر يوضع فيها ... لحم البقر المحمر الذى كان لانجلترا القديمة . لا ، لا يوجد من يسألنى ، لا بأس . زوج من البيض المقلو اللذيذ على كل حال . انها فتاة طيبة مع ذلك ... فتاة طيبة . مخلصة لشارلى هنا ... أليس كذلك يا شارلى ؟ (لقائد الفرقة) قابلته فى باب دوار ومازالا يدوران معا منذ ذلك الحين . انى أحير نفسى ، تعلمون ذلك ، ألا تعلمون ؟ انى أحير نفسى هنا . عرايا ، هذا ما يسمونهن به يا سيدتى ، عرايا .

ويحى ان عليها من الملابس أكثر مما على . انه كثير من الوقار ، هذا كل ما هنالك . كثير من

الوقار . أوه ، لقد أضفت سطرا هنا . لا بأس .
لايهم . لقد كان لى بعض السقطات فى حياتى .
بالشرف كان لى . أنتم تعتقــدون اننى كنت
جــذابا جنســيا فى منظرى ، أليس كذلك ؟
لا بالشرف ، لا تعتقــدون . اتعتقــدين أنت
يا ســيدتى . انى أعتمد دائمــا عــلى أنكم
ستصبحون أقوى بعدها . (يغنى) « قولى ان
فطيرتك لذيذة ، ولكنها لا تقارن بفطيرتى » .
يوجد فى هذا الجانب رجل يلبس قناعا، تعرفون
ذلك ، ألا تعرفونه ؟ انه ، انه واقف هنــاك ،
أستطيع أن أراه ، لا بد أنه محصــل ضريبــة
الدخل . ان الحياة مع هذا عجيبة،أليس كذلك؟
انها لكذلك ... الحيــاة عجيبة . انهــا كمص
الحلوى وهى ملفوفــة بالورق . أوه حسنا ،
اننا جميعا نعمل فى صناعة الأســمدة الآن على
ما أعتقد . حسنا أنا أفضل أن أتعاطى زجاجــة
بيرة فى أى يوم . هــذا ما أفضــله . انكــم
لا تصدقوننى . ولكنى أفضــل ذلك . تظنون
اننى انتهيت ، أليس كذلك ؟ هيــا قولوهــا ،
تظنون اننى انتهيت . لقد انتهيت . تظنون اننى
انتهيت ، أليس كذلك ؟ حسنا ، لقد انتهيت .

ما الذى جرى ؟ أتشعر بالبرد انت [illegible] ؟ قبل أن أنتهى بالفعل سيداتى سادتى ، أحب فقط أن أحكى لكم حكاية صغيرة ، حكاية صغيرة ، هذه الحكاية عن رجل . مجرد رجل صغير عادى مثلكم ومثلى . صحا من نومه ذات يوم فوجد نفسه فى الجنة . فتطلع فرأى رجلا واقفا بجانبه ، واتضح أن هذا الرجل قديس أو شىء من هذا القبيل ، على كل حال فقد كان عضوا فى لجنة الاستقبال . وقال القديس للرجل : « حسناً ، انت الآن فى الجنة » . فقال الرجل : « أهذا صحيح ؟ » فقال القديس « نعم ، وأكثر من هذا فقد كسبت لنفسك السعادة الدائمة » فقال الرجل « أحقا ؟ » فأجاب القديس « بكل تأكيد . أوه انك فى خير حال. ألا تسمع الجماهير ، كل واحد يغنى ، كل واحد مسرور ، ماذا تقول يا ولدى ؟ » .

وعندئذ أجال الرجل الصغير بصره فيما حوله ورأى كل أهل الأرض مصطفين ومن ورائهم الكون ، فقال للقديس « حسنا ، هل أستطيع أن أصعد الى حيث تقف لألقى نظرة شاملة ؟ » فقال القديس « طبعا تستطيع ذلك، يا ولدى »

ثم أفسح له مكانا . فوقف الرجل الصغير حيث كان القديس وتأمل المنظر الذى أمامه ، فى كل جيوش السماء وما يليهـا . وقال له القـديس «ان كل عجائب الأبدية ومباهجها من حولك». فقال «أتعنى أن هذه هى الأبدية واننى فى الجنة؟» قال « هذا صحيح يا ولدى ، فماذا تقول ؟ » فأعاد الرجل النظر حوله قليـلا فقال القديس « حسنا يا ولدى ؟ » فأجاب « حسنا ، لطالمـا تساءلت فيما عسى أن أقول اذا حدث هـذا لى يوما ما . لم أستطع أن أتصور هذا من ناحيـة ما » . فتبسم القـديس فى عطف وقال له مرة أخرى « وماذا تقـول اذن يا ولدى ؟ » فقال الرجل الصغير «شىء واحد أستطيع أن أقوله» ثم قال « حسناً » فشعر القديس كأن يدا هائلة لطمتـه على وجهـه ، وتوقفت الحشـود عن الغناء ، وخبأ الملائكة وجوههم ، وخشعت كل الأصوات فى الجنة لحظة من لحظات الأبدية . واستعصى الكلام على القديس لحظة ، ثم طوق الرجل الصغير بذراعيه وقبله ، وقال له « انى أحبك يا ولدى من كل روحى ، وسأحبك على الدوام . لقـد أقمت على انتظار تلك الكلمة

منذ حضرت الى هنا». انه هناك بقناعه الصغير، أستطيع أن أراه . أوه حسنا . عندى فرصة . أليس كذلك ؟

(يرتفع الستار عن مسرح مظلم عار . تبدأ الموسيقى هادئة . ويقف آرشى رايس على المسرح فى هـالة صغيرة مستديرة من الضوء ويبـدأ اغنيته فى رقة) .

لمـاذا يجب أن أحمل الهم
لمـاذا أتركه يمسنى .
لمـاذا لا أجلس وأبكى
لأتركه يمر من فوقى ؟

(يبـدأ فى التعثر قليلا) .

لمـاذا يجب ....
لمـاذا يجب أن أتركه يتغلب على ...
ما فائدة اليأس ؟

(يتوقف ويحملق أمامـه . الموسـيقى تستمر ثم يستأنف هو) .

لو رأوك وأنت مهموم
فسوف يحتقروك .

(يحملق ثم يستمر) .

ولذا فلماذا ، أوه ، لمـــاذا أشغل نفسى
بحمل الهم .

(تظهر فوبيا من ناحية اليسار تحمـــل
معطف مطر وقبعـــة) .

آرشى : لمـــاذا أحمل الهم
لمـــاذا أتركه يمسنى
لمـــاذا لا ....

(يتوقف . تستمر الموسيقى . ويسير هو
نحو فوبيا التى تساعده على ارتداء معطفه
وتعطيه قبعتـــه . يرتد ثم يعود ثانيـــة الى
دائرة الضـــوء) .

لقـــد كنتم متفرجين طيبـــين . طيبين جـــدا .
متفرجين طيبين جدا . فلتخبرونى أين تشتغلون
مساء غد ... وسأحضر لرؤيتكم .

(يمشى نحو مؤخرة المسرح مع فوبيا .
الضـــوء مسلط على المكان الذى كان يقف
فيـــه .

(آرشى ، يستمر الأوكســـترا فى عزف
« لمـــاذا أحمل الهم » وفجاة تنطفىء هالة
النـــور الصغيرة ، ويصبح المسرح عاريـــا
مظلمـــا . ذهب آرشى رايس ، ولم تبق
الا الموســـيقى .

ستـــار

النهـــاية

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٦٩ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلوبى	سمرست موم
٦	الغربان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ر . لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنـــوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شيين أوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبـا	فدريكو غرسنيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ما تعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برناردشو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣٤	ـ زوجة مستر تانكرى الثانية ...	آرثر وينج بنيرو
٣٥	ـ عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ابسن
٣٦	ـ لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمار
٣٧	ـ سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	ـ علماء الطبيعه	فريدرش دورنمات
٣٩	ـ رغبة تحت شجرة الدردار	يوجين أونيل
٤٠	ـ حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	ـ جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢	ـ ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	ـ بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	ـ الاله الكبير براون	يوجين اونيل
٤٥	ـ حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	ـ آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	ـ الزفاف الدامى	فدريكو جرثيا لوركا
٤٨	ـ الخاطبة	ثورنتن ويلدر
٤٩	ـ اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	ـ القصى	ترنتيوس أفير
٥١	ـ فترة التوافق	تنيسى وليامز
٥٢	ـ بيرجينت	جون جلزورذى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٥٣	الابن الأكبر	جون جلزوورذى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورينمات
٥٥	ديدرى فتاة الأحزان	جون ميلنجنون سبنج
٥٦	المسافر بلا متاع	جان انوى
٥٧	الحالمة	المر رايس
٥٨	كلهم أولادى	آرتر ميلر
٥٩	أونديين	جونهولد افرايملسينج
٦٠	ميناقون بارنهلم	جان جيرودو
٦١	معطف الفراء	جرهارت هاوبتمان
٦٢	كرنفال الأشباح	موريس دوكوبرا
٦٣	« هو » الذى يصفع	ليونيد أندرييف
٦٤	فتى الغرب المدلل	جون ملنجنون سينج
٦٥	قواعد المبارزة	لويجى بيراند
٦٦	عرفوا ما يريدون	سيدنى هوارد
٦٧	المحراث والنجوم	شون اركيس
٦٨	أميديه	ارجين ينسكو

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : **مؤسسة الخانجى بالقاهرة**

وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »

ومن مكتبه المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت

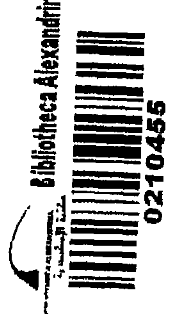
الشركة المصرية للطباعة
حسن مدكور وأولاده
٣٠ شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة
تليفون ٥١٥٧١ — ٤٨٩٢١

روائع
المسرح العالمي

سلسلة مسرحيات
عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

يطلب من :
مكتبة الخانجي - القاهرة ، ومكتبة المثنى - بغداد
ودار العلم للملايين - بيروت ، ومكتبة المنار - تونس
ومكتبة الرشاد - الدار البيضاء
ويطلب من : المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي با



الشركة المصرية للطباعة (
يناير ١٩٦٦

الثمن ١٠ قروش